أثر الصحراء في نشأة الشعر العربي وتطوره
حتى نهاية العصر العباسي الثاني

د. حمد بن ناصر الدخيل
أستاذ مشارك - قسم الأدب - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

ملخص بحث

أثر الصحراء في نشأة الشعر العربي وتطوره حتى نهاية العصر العباسي الثاني د. حمد بن ناصر الدخيل

الصحراء فضاء واسع ممتد، قفْر، لا ماء فيها كالأنهار والجداول، قليلة الأمطار والنبات، ذات جو جاف. والصحراوات في قارات العالم كثيرة، من أشهرها صحراء العرب، وصحراء شمالي إفريقية المعروفة بالصحراء الكبرى. نشأ الشعر العربي في قلب صحراء العرب. وتدرج في نشأته وتطوره وازدهاره حتى وصل إلى مرحلة نضجه في الشعر الجاهلي .

ويتناول هذا البحث أثر الصحراء في نشأة الشعر العربي، ويتكون من مقدمة، وتمهيد. تحدثت فيه عن الصحراء المكان والإنسان، أردت بالمكان صحراء العرب، وأردت بالإنسان العربي الذي عاش في الصحراء، وأمضى حياته فيها، وتأثر في نمط عيشه وسلوكه وأخلاقه وعاداته وتقاليده ببيئة الصحراء وطبيعتها، ثم تحدثت عن نشأة الشعر العربي وأوليته، وعلاقة ذلك بالصحراء التي شهدت نشأة هذا الشعر، وهي بداية لا نستطيع تحديد زمنها تحديدا دقيقًا. وانتقلت إلى دراسة مظاهر أثر الصحراء في الشعر العربي، ومن أبرز هذه المظاهر أثر الصحراء في اللغة، الذي تمثل في تزويد المعجم اللغوي بكثير من الألفاظ والمصطلحات، وفي مقدمة ذلك الأسماء والصفات التي أطلقت على الصحراء. وعرض البحث أيضًا لأثر الصحراء في موضوعات الشعر وأغراضه، التي حملها إلينا الشعر العربي. ومن أهم ذلك وصف طبيعة الصحراء مسالكها ودروبها وجوها ورياحها وأمطارها وحيواناتها وطيورها ونباتاتها، وما يتصل ببيئتها، وأنماط العيش والحياة فيها. تلا ذلك أثر الصحراء في مضمون الشعر من معانٍ وأفكار، وأثرها في صوره الفنية، وهي صور كثيرة استمدها الشاعر العربي من بيئة الصحراء ومناظرها، ونجدها ماثلة بصفة خاصة في شعر الجاهليين والأمويين، وفي شعر كثير من شعراء العربية عبر العصور الذين تأثروا بالشعر الجاهلي والأموي. ويستطيع الباحث من خلال هذه الصور أن يستنبط خصائص الصحراء وسماتها .

وختم البحث بخاتمة لخصت أهم نتائجه. ويعد هذا البحث مدخلاً لدراسات كثيرة تدرس أثر الصحراء في اللغة والأدب، وربما لدراسات تتناول أثر الاجتماعي والنفسي. ويأتي أيضا ضمن اهتمام عدد من الباحثين والأدباء في الشرق والغرب بالصحراء ورصد ما لها من تأثيرات متعددة.

مقدمـــة

أثر الصحراء في نشأة الشعر العربي وتطوره موضوع أدبي مهم، يصلح أن يكون عنوانا لكتاب ضخم، يفصل فيه الدارس مؤثرات الصحراء في الشعر العربي من حيث النشأة والتطور في الموضوعات والمعاني وفي اللغة والأسلوب، والصور والأخيلة والأوزان والقوافي، حتى استقام على الطريقة الشعرية المثلى التي وصلت إلينا في شعر امرئ القيس، وأوس بن حجر، والنابغة، وزهير، وطرفة بن العبد، وعنترة، والأعشى، وغيرهم من فرسان الشعر الجاهلي. وكانت واسطة عِقْده القصائد المطولات التي عرفت في اصطلاح بعض الأدباء بالمعلقات السبع أو العشر .

والدراسات والكتب التي صدرت عن الشعر الجاهلي والأدب الجاهلي عامة تمثل مكتبة متكاملة؛ لأن أدب العصر الجاهلي يعد النواة الأولى لنشأة الأدب العربي ومسيرته في معارج التطور والازدهار. وكان الرواة والأدباء وعلماء اللغة الأوائل يعنون بهذا الأدب عناية خاصة – ولا سيما الشعر – ويرون فيه النموذج والمثل للشعر العربي الأصيل الذي ينبغي للشعراء أن يحتذوه وينسجوا على منواله . وأقوال الرواة في تفضيل الشعر الجاهلي على غيره كثيرة نجدها في طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي (٠٠٠ – ٢٣١هـ)، والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (٢٨٤ – ٣٥٦هـ)، والموشح للمرزباني (٢٩٦- ٣٨٤هـ)، وسواها من مصادر الأدب .

وأثر الصحراء في الشعر والأدب عامة موضوع جدير بالبحث على كثرة ما كتب عن الشعر الجاهلي من دراسات وبحوث وكتب، تناولت بيئته وجغرافيته وتاريخه وشعراءه، وما يتبع ذلك من دراسة شعرهم دراسة موضوعية وفنية .

والحقيقة أن ما اطلعت عليه مما كتب عن الأدب والشعر في العصر الجاهلي ألمس فيه تأثير الصحراء، وألحظ أنا ماثلة قائمة في كل سطر من سطوره. ولكن تبقى الحقيقة المهمة الغائبة، وهي تتبع أثر الصحراء المباشر في الشعر بخاصة، وفنون النثر في الأدب الجاهلي بعامة .

ولكن قبل أن يلج الدارس هذا الموضوع الأدبي الحيوي، لابد أن يمهد له بدراسة وافية عن بيئة الصحراء وطبيعتها وخصائصها، ونباتاتها وحيواناتها، وما يتصل بطبيعة الحياة فيها، واستخلاص الشعر الذي يوظف في موضوعاته ومعانيه وصوره ما تمتاز به الصحراء من دلالات ورموز، وهو شعر كثير غزير يدلنا على كثرته ما وصل إلينا منه، وهو غيض من فيض .

وسوف أتناول في هذا البحث موضوع الصحراء، المكان والإنسان، ثم نشأة الشعر

العربي، وأثر الصحراء في تطوره وازدهاره في الموضوعات والمعاني والصـور. ويبقـى الموضوع على الرغم مما كتب فيه، وما صدر عنه من بحـوث ودراسـات في حاجـة إلى دراسات أخرى تنطلق من حيث انتهت البحوث التي بين يدينا؛ لأن أثر الصحراء في الشعر العربي سيبقى مجالاً لدراسات مجددة مبدعة، تتناول أثرها الكبـير مـن زوايـا متعـددة، وطروحات مختلفة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

تمهيد

الصحراء: المكان ، والإنسان

للصحراء على الإنسان فضل لا ينكر في توجيه حياته وفكره وسلوكه، وهـي مكـان وظرف، ولكنها – على الرغم من ذلك – تركت أثرا لا تمحوه الأيام من ذاكرة الإنسان، في تكوين حياته، وبناء مجده وحضارته، والإنسان ابن الصحراء تقلب في رحمها، وانطلـق منها في تشييد حضارة الكون، وإضافة لبنات أساسية في صرح شموخها وعطائها وتوجهها، أكسبته قسوة الصحراء قوة، وبعثت فيه عزمـًا لا يلين، ومنحته الذهن الثاقب والـذكاء المتوقد، وخلعت عليه في اتساعها، وانداح جنباتها برود السماحة والكرم والخلق الرضي، فكان ذلك الإنسان الذي ينسب إلى الصحراء في تألقه وتفرده وامتيازه ورضاه .

والصحراء مكان فضفاض، يغيب فيه البصر الحديد، ويمتد أمامه الأفق واسعـًا رحبـا حتى كأنه لا نهاية له . للصحراء في العين مجتلى ومتعة، وللنفس فيها راحـة وروحانيـة، وللفكر انبعاث وإبداع وتجديد . عرف العربي الصحراءَ قبـل أن يعـرف البحـر، ورأى أديـمها قبل أن يرى زرقة الماء، ولامس أديـمها جلده دون حائل، وجـال في حزونـها وسهولها، وسرح أنعامه في أفيائها، وشم أريج نبتها وأزهارها، واستنبط الماء من جوفها لذة للشاربين، وافتن في شؤون الحياة وضروب العيش على ظهرها، وعاش – ما شاء الله له أن يعيش – وهو لا يعرف شيئـًا سوى سهولها وجبالها ورمالها وأبارقها ورياضها وأوديتهـا ووهادها، يضرب في أكنافها سحابة نهاره، فإن جن الظلام أوى إلى بيته مستمتعـًا بنعيـم الراحة ولذة الدفء، إن كان الوقت شتاءً، ولذة الجو المعتدل والنسيم العليـل إن كـان الوقت صيفـًا .

امتزج العربي بالصحراء حتى غدت قطعة من نفسه، وجزءًا من حياته، فلا يرى لغيرها بديلاً، ولا عنها متحولاً . استمد منها تجارب حياته، ونمط عيشه، وكون مـن مناظرهـا، وتفاعله معها ثقافته ورؤيته للحياة . عرف نسائمها ورياحها، وعانى قُرها وحرها، وتقلبات جوها، وشارك حيواناتها وطيورها في البحث عن العيش، فكان منها المستـأنس الـداجن، والسبع الضاري، فعاملها بما ينسجم مع طبيعة حياته وطريقتـه في الإقامـة والترحـال، والبحث عن ما يقيم أوده ويكفيه رزقه .

ولم يقنع بما يقنع به القوم ذوو الهمم الضعيفة والأفكار المحدودة، بل كـان طماحـًـا متطلعـًا، يدفعه في ذلك ذكاء لـماح، وبديهة على اللسان حاضرة، وذهن متوقد، فهـو – كما قال طرفةُ بن العبد – ([١]) :

أنا الرجلُ الضرب الذي تعرفونه *** خِشاش كـرأس الحيةِ المتوقدِ

يضاف إلى ذلك عقل يجيد التفكير، ويرسم له خطوات مستقبله القريب في حدود إمكاناته ومعارفه وتجاربه؛ فكشف عن موهبته في القول والتعبير دون أن يقرأ في صحيفة، أو يخط حرفًا. وكان يملك ناصية اللغة، ويمسك بزمام الفصيح، أخذ ذلك مشافهة من بيئته، فلم يكتف بالتعبير عن حاجات يومه القائمة، بل وظف لغته القوية الغنية بمفرداتها وألفاظها في قول رفيع وبيان رائع، وتصوير يأخذ بمجامع القلوب، فاستنبط من وقع خطوات الإبل المنتظمة – وهي تقطع الصحارى والفيافي – الحُداء، وهو أن ينشد للإبل شعرا موقعًا منغومًا فتطرب وتنشط، فتغذ السير إلى الغاية، ثم تحول حداؤه إلى مقطعات قصيرة موزونة، وتدرجت هذه المقطعات إلى قصائد كانت نواة للشعر الجاهلي الذي وصل إلينا منه قدر غير يسير .

وأتى إلينا هذا الشعر يحمل لغة الصحراء ووصفها وصورها وطوابعها، وبرع في تصويرها وتمثيلها حتى لكأننا نراها ماثلة أمام عيوننا نقرؤها في كتاب. وتأصلت منظومة الشعر الجاهلي على أديمها، فعرفنا منها القصائد المطولات وغير المطولات التي وظفها شعراء الجاهلية في الموضوعات المتنوعة، وتضمنت آراءهم وأفكارهم ومعانيهم التي تداعب أخيلتهم وعواطفهم وعقولهم، واستمدوها من بيئة الصحراء .

وهذا العطاء الشعري المتنوع الذي ولد في الصحراء، ونما في ربوعها، ووصل إلينا قويًا سامقًا يمثل قاعدة الشعر العربي وأسسه ومقاييسه؛ فالأشعار التي قيلت في العصور التالية ترسمت خطوات الشعر الجاهلي – ولاسيما الشعر في العصر الأموي – ووظفت لغته، وكثيرا من معانيه وصوره .

فللصحراء فضل لا ينكر في نشأة الشعر العربي، وتدرجه، ثم تطوره وسموه وازدهاره. نقرأ الشعر الجاهلي في لغته الرفيعة، وأسلوبه البليغ، وموضوعاته الغنية المتنوعة، فنعجب لابن الصحراء كيف استطاع أن يمتلك عنان عبقرية الشعر، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يتخرج في مدرسة أو جامعة، وثقافته في الحياة لا تتعدى ثقافة الصحراء التي منحته هذا القدر الهائل من التفكير والتصوير والبيان الذي يأخذ بمجامع قلوبنا، على الرغم من مضي ستة عشر قرنًا على قرض هذا الشعر الذي نقرؤه وندرسه كما نقرأ وندرس شعر الشعراء الذي نعيش معهم في عصر واحد ومكان واحد .

الصحراء ونشأة الشعر العربي

في زخم الصراع وخضم العراك بين الاتجاه الحداثي في كتابة الشعر شكلاً ومضمونًا، والاتجاه إلى استلهام مضمون الشعر العربي الأصيل الموروث، واتخاذه قاعدة أساسية، ومرتكزا أوليًا يعتمد عليه شعراء الأصالة فيما يتناولون من صور التجديد، وعوامل التطوير استجابة لمعطيات الحياة البشرية والتجارب الإنسانية، يحلو الحديث ويطيب عن النبع الأول، والإرهاصات التي تمخض عنها شعر العربية منذ أن كان طفلاً وليدا يحبو حتى اشتد عوده، واستقام على سوقه .

وعلى الرغم من كثرة الدراسات والبحوث التي قام بها الباحثون من عرب ومستشرقين في محاولة لوضع نظرية تقترب من الحقيقة نوعًا ما حول البداية الأولى لنشأة الشعر

العربي، فإننا لم تسفر عن نتيجة يطمئن إليها الباحث، ويركن إليها الدارس المعني بهـذا الموضوع .

وكثيرا ما يتساءل بعض المهتمين بالشعر العربي ونشأته وتطوره عن الكيفية التي ولد بها هذا الشعر؟ وكيف نشأ؟ وما المراحل والخطوات التي مر بها وقطعها حتى استقام على تلك الطريقة الفنية المكتملة شكلاً ومضمونـًا، التي وجدناها في شعر أوس بن حجر، والمهلهل، وامرئ القيس، والنابغة الذبياني، وزهير، وأضرابهم من شعراء الرعيـل الأول في العصـر الجاهلي ؟

وليس من اليسير أن نضع أيدينا على أولية الشعر العربي قبل أن يصل إلينا في صـورته الحالية؛ لأن مرحلة الطفولة التي عاشها هذا الشعر مازال يكتنفها الغموض، ويلفها ضباب كثيف، وهي فترة أهملها التاريخ المدون ضمن ما أهمله من تاريخ العرب القديم لأسـباب أهمها، ندرة الكتابة في بلاد العرب آنذاك، وشيوع الأمية، والاعتماد علـى الـذاكرة أو الحافظة في تلقي الأدب والأخبار .

ولا جرم أن هناك محاولات وإرهاصات أولية لنظم الشعر قبل أن يصل إلينا في صورته الحالية المكتملة وزنـًا وقافية وشكلاً ومضمونـًا، غير أن هذه المحاولات والإرهاصـات ضاعت وسقطت من يد الزمن ضمن ما ضاع من تراث العرب وأخبـارهم قبـل عصـر التدوين والكتابة .

قال أبو عمرو بن العلاء (٧٠ – ١٥٤هـ) الراوية المشهور:)) ما انتهى إليكـم ممـا قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير ((([٢]). ويعلل محمد بن سلام الجمحي (١٣٩- ٢٣١هـ) ضياع شعر العرب بقوله:))لما جاء الإسلام تشاغلـت العرب عن الشعر، وتشاغلوا بالجهاد، وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا روايـة الشعـر، فلـم يؤولوا إلى ديوان مدون، ولا كتاب مكتوب، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلـك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك، وذهب عليهم منه كثير ((([٣]) .

وقد حاول بعض الباحثين من قدامى ومحدثين ([٤]) أن يزيحوا جانبا من الغموض حول أولية الشعر العربي، وبداية نشأته، فوضعوا بعض الافتراضات التي يمكن أن تتخذ منطلقًـا وقاعدة بحث لوضع تصور عن بداية الشعر العربي في عصوره المتقدمة في الجزيرة العربيـة، فرأى بعضهم أنّ نشأة الشعر ارتبطت بحداء الإبل، حيث كان يغني لها صـاحبها في أثنـاء سيرها بصوت منغوم حسن مرتفع، فتطرب، وتنشط في سيرها، ومازال الحُداء في صـورته الجاهلية القديمة معروفـًا لدى القبائل التي تعيش في الصحراء وتقتني الإبل، ثم تطور الحداء إلى الرجز، لأنه أقرب إليه، وقد يكون الحداءُ في بعض صوره رجزا نظرا لما بينـهما مـن مشابهة في النغم وطريقة الإنشاد ([٥]) .

وقد حاول بعض المستشرقين المهتمين بدراسة الأدب العربي – مثل كارل بروكلمان ([١٢٨٥- ١٣٧٥ = ١٨٦٨- ١٩٥٦م) ([٦]) - أن يستخلصوا من الملابسات المتشابهة عند الشعوب البدائية الأخرى نتائج يمكن تطبيقها على الحياة العربية، في محاولـة لرسـم

نظرية لأولية الشعر العربي، حيث اعتبروا أن الأغاني القصيرة الخفيفة (الطقاطيق) قدر مشترك بين الشعوب البدائية، يرددها أفرادها عند القيام بعمل من الأعمال، أو مزاولة حرفة من الحرف، أو في أثناء السفر، لما لها من أثر سحري فعال في الحث على النشاط، واستنهاض الهمم والإقبال على العمل، أو للتعبير عن الحالات العاطفية والشعورية كالفرح والحزن. وكانت تلك الأغاني أو المقطوعات القصيرة هي الإرهاصة الأولى لنشأة الشعر وتطوره ليس عند العرب فقط، بل عند جميع الشعوب الشاعرة أو ذات الإنتاج الشعري، كاليونان والرومان والفرس والهنود .

وهذه المقولة لا تخرج في مفهومها العام عن الفرضية التي ذكرناها، وهي انبثاق الشعر من حداء الإبل .

وعلى الرغم من أن مقارنة أحوال العرب بأحوال أمم أخرى ومضاهاتها بها قد تفيد في مجال التنظير المجرد، لكنها لا تسلم عند التطبيق من مظنة التعسف والاقتسار، ولا تنأى عن جادة الزلل والخطأ . ويرى بعض الدارسين أن السجع كان البذرة الأولى لبداية الشعر، ثم تطور السجع إلى الرجز، ثم تحول الرجز إلى ذلك الشعر المنظوم على البحور الشعرية المعروفة التي استنبطها الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠- ١٧٠هـ). ولم يكن الرجز في العصر الجاهلي شائعًا، فلا يوجد منه إلاّ الأبيات القليلة يقولها الراجز في حاجته، ولم يكثر الشعراء منه إلا في العصر الأموي، حيث وجد رجاز تفرغوا له، منهم العجاج، وابنه رؤبة، وأبو النجم العجلي، والزفيان السعدي، حتى سمي بحر الرجز بحمار الشعراء، لكثرة ما نظموا فيه .

وقد حاول ابن سلام أن يضرب لنا مثالاً في مقدمة كتابه طبقات فحول الشعراء لبداية نشأة الشعر عند العرب بقوله: ((لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجلُ في حاجته، وإنما قصدت القصائد، وطول الشعر على عهد عبدالمطلب، وهاشم بن عبد مناف)) ([٧]) .

أما أن أوائل العرب من الشعراء لم يكن لهم من الشعر إلا الأبيات فهذا صحيح يؤيده الواقع المشاهد والتجارب المتماثلة؛ لأنّ هذه الأبيات القليلة يقولها الرجل عبارة عن محاولات وإرهاصات وتجارب أولية لتقصيد القصائد وتطويل الشعر، فالشعر وكذا سائر الفنون الأدبية الأخرى لم تنشأ دفعة واحدة، بل كان لابد لها لكي تنضج وتكتمل من مرحلة زمنية تستوعب فيها النمو والنضج والاكتمال .

وأما أنّ تقصيد القصائد وتطويل الشعر لم يحدث إلا في عهد عبدالمطلب ووالده هاشم بن عبد مناف، فرأي يحتاج إلى مراجعة ومزيد بحث ودراسة؛ لأن الشعر العربي أقدم من هذا بزمن، فهاشم وهو أقدم الرجلين توفي قبل الهجرة النبوية بما يقرب من مئة عام، ويذكر التاريخ أنه توفي في شبابه المبكر، لم يتجاوز ثلاثين عامًا أو تجاوزها بقليل، ولعل الصواب أن يقال: إن الشعر الذي وصل إلينا من أفواه الرواة يبدأ من هذه المدة التي عاش فيها عبدالمطلب ووالده هاشم ابن عبد مناف، أو قبلهما بقليل؛ لأن هناك ذكرا لشعراء لم يصل إلينا شيء من شعرهم، ووصلت إلينا أسماؤهم في بعض أشعار المتقدمين، فامرؤ القيس

يقول:

عوجـا على الطلل المُحيل لعلنا *** نبكي الديار كما بكى ابن حِذَامِ ([٨])

ولا نعرف شيئًا عن هذا الشاعر سوى إشارة امرئ القيس إلى أنه وقف على الأطلال وبكى الديار، ولا ريب في أن شعره وصل إلى امرئ القيس وإلى معاصريه من الشعراء وحفظوه وفهموه؛ كما نحفظ الآن شعر امرئ القيس ونفهمه، وسائر شعراء الجاهلية الذين وصلت إلينا أشعارهم .

ومن الشعراء الأقدمين الذين روي لهم شعر، ولكنه قليل دويد بن زيد ابن نهد القُضاعي. فقد رويت له بعض أبيات حين بلغ من الكبر عتيا، وأبيات قالها حين حضرته الوفاة ([٩]) .

لكن يبقى ما ذكرته مجرد افتراضات لا يطمئن الدارس إلى ما تفضي إليه من نتائج وحقائق ما لم تكن مدعومة بالأمثلة الصحيحة والشواهد الأدبية والتاريخية؛ لأن نشأة الشعر العربي حدثت في مدة وبيئة عجز التاريخ عن الكشف عنهما .

ولعل الطريق الأمثل لدراسة نشأة أدب من الآداب الإنسانية هو أن نتخذ من دراسة نشأة اللغة، وعوامل تكونا وتطورها، ومضاهاتها باللغات التي تأثرت بها أو أثرت فيها منطلقا لوضع أيدينا على البدايات الأولى للشعر؛ لأن اللغة وعاء الشعر، والشعر أيضا لا ينشأ من فراغ، فلكي يعطي ثماره، لابد أن تكون اللغة نفسها قد وصلت إلى مرحلة من النضج تستوعب فيها التعبير عن العواطف والمشاعر والأفكار وغير ذلك من الحالات الشعورية والمواقف الإنسانية .

فإمساك الباحث بأول خيط نشأة اللغة، وتتبع مراحل تطورها عبر الزمن سيتيح له الوقوف على بداية الشعر، ومراحل تطوره، ولكن قد توجه ملحوظة مهمة إلى هذا الرأي، وهي أن بداية اللغة نفسها غير واضحة المعالم، كالشعر تمامًا، والدراسات التي كتبت عن أولية اللغة لا تكاد تسلم من الافتراضات وربما التخمينات في طرح بعض النظريات التي قد لا تصح، ولكن قد يسهم في حل الغموض الاستعانة بالنقوش والكتابات العربية التي عثر عليها في الكهوف والمعابد، وفوق الصخور في أماكن متعددة من شبه الجزيرة العربية، كالجوف، وتيماء، ومدائن صالح، والفاو، بالإضافة إلى الاستعانة بالحفريات والآثار التي تلقي بعض الأضواء على حياة العرب الأولى، وصلتهم بالأمم الأخرى .

وقد وجدت دراسات كثيرة حول هذا الموضوع قام بمعظمها رحالة ومستشرقون وكتبوها بلغاتهم الأصلية .

ومثل هذه الدراسات والبحوث التي تكتب عن نشأة اللغة وتدوين بداياتها الأولى قد تضعنا على أول الطريق، لوضع نظرية صحيحة لنشأة الشعر العربي .

ونخلص من هذا كله إلى نتيجة حتمية، وهي أن الشعر العربي نشأ في صحراء العرب؛ فهي التي ألهمت الشعراء الأوائل في التوصل إلى قرض الشعر، وشهدت سهولها وحزونها البدايات الأولى لنشأته ومرحلة طفولته، وتدرجه حتى استقام شعرا له وزنه وقافيته، غني بالمعاني والأفكار والموضوعات والصور البيانية والخيالية، التي استمد معظمها من بيئة

الصحراء وثقافة الصحراء .

مظاهر أثر الصحراء في الشعر العربي :

للصحراء أثر واضح في الشعر العربي، ولاسيما الشعر الذي قيل على أديمها، والشعر الذي تأثر به في العصور الأولى، وبخاصة شعر عصر صدر الإسلام، والدولة الأموية، والعصر العباسي الأول والثاني. ونلمس هذا التأثر في مختلف جوانب الشعر: الشكل والمضمون والموضوعات. والشعر العربي ليس نصوصًا إبداعية فقط ولكنه – إلى جانب ذلك – يمثل بيئته، ويعبر عن حياة العرب الاجتماعية، وما تحفل به من نشاط متنوع. وهو بهذا المقياس شعر له رسالة وهدف، وهذا ما دفع بعض الدارسين أن يستوحوا حياة العرب من شعرهم، حين قصر التاريخ عن استيعاب ذلك والإلمام به، بل إن مصادر التاريخ كسيرة ابن هشام، وتاريخ الطبري، وابن الأثير، وابن كثير، وابن خلدون، تضمنت نصوصًا شعرية كثيرة أسهمت في تدوين أحداث التاريخ، ولذلك ستكون معالجتي لنصوص هذا البحث من هذا المفهوم الذي يرى أن الشعر العربي تصوير لحياة العرب ومناشطهم. وسأتحدث في الصفحات التالية عن أبرز معالم تأثير الصحراء في الشعر مستشهدا ببعض النصوص الشعرية الغزيرة التي تثبت ذلك في أجلى مظاهره .

في اللغة :

اللغة مادة الأدب شعرا ونثرا، وأداة البيان والتعبير المثلى. والتأثير في اللغة ثراءً ودلالةً ومضمونًا تأثير في الأدب، وتأثير فيما يحمله من أفكار ومعان. والصحراء بمفهومها الدلالي أثرت اللغة العربية بفيض من الألفاظ والمفردات التي وظفها الشعراء في شعرهم، وبخاصة الشعراء الذين كانت صلتهم بالصحراء مباشرة، وارتباطهم بها قويًا، بأن ولدوا في رحابها، ودرجوا على ظهرها، وتنسموا هواءها، وأمضوا سنوات عمرهم يتنقلون في جنباتها. ويتضمن معجم الشعر العربي ألفاظًا غزيرة أوحت بها الصحراء ومظاهرها وطبيعة الحياة فيها. والمتتبع للشعر العربي يستطيع أن يرجع كثيرا من ألفاظه إلى وحي الصحراء. وتمثل هذه الألفاظ الشعرية معجمًا لغويًا كبيرا يكون في جملة جانبًا لا يستهان به من مفردات اللغة العربية، من ذلك أسماء الصحراء وصفاتها، ووصف حزونا وسهولها، وما يتعلق بطبيعتها الساكنة والمتحركة، وهي ألفاظ كثيرة تتصل بالحيوان، والنبات، والسحاب، والمطر، والسيل، إضافة إلى الألفاظ المتعلقة بالحياة ووسائل العيش والتنقل تبعًا لتغير فصول العام، وما تفرضه طبيعة المجتمع الصحراوي من حركة ونشاط، وكر وفر في ميدان المعارك والحروب.

ولفظة (صحر) المكونة من الصاد والحاء والراء أصل في بنية الكلمة، تدل على أصلين، أحدهما البراز في الأرض، والآخر لون من الألوان، يقال: أصحر القوم إذا برزوا إلى الصحراء لا يسترهم شيء، وأصحر الرجل: نزل الصحراء، وبرز إلى فضاء واسع لا يواريه شيء. والأصل الآخر الصحرة، وهي لون أبيض مشرب بحمرة ([١٠]) .

والصحراء من الأرض مثل ظهر الدابة الأجرد ملساء، ليس فيها شجر ولا آكام ولا جبال ([١١]) .

وقيل: الصحراء فضاء واسع ممتد قفْر، لا ماء فيها ولا حياة ([١٢]) . وأيـًا ما كانت التعريفات فهي متفقة على أنّ الصحراء فضاء واسع جدا، لا ماء فيها كالأنهار والجـداول والعيون الجارية، قليلة الأمطار والنبات. ونموذج الصحراء واضـح في صـحراء جزيـرة العرب، والصحراء الكبرى في شمالي إفريقية، وقارات العالم لا تخلو من صحراوات كثـيرة مشهورة .

وتجمع الصحراء على صحارى بفتح الراء وكسرها، وعلـى صـحراوات([١٣]) . ووضع العرب للصحراء نحوا من أربعين اسمـًا، وجميعها أسماء تلمح فيها معنى الصفـة، وتلحظ دلالتها على ما تمتاز به الصحراء عن غيرها من أنواع البقاع والأراضي ([١٤]) .

وهي في الأصل صفات تنعت بها البقاع التي تنفرد بسمات لا تخـرج عـن المفهـوم المعروف للصحراء، وتدل جميعها على قدرة واضعي اللغة العربية – وهم العرب – علـى اختيار اللفظة المناسبة للدلالة على المعنى الماثل في الذهن. ويمكـن باسـتخلاص المعـاني والدلالات التي تدل عليها هذه الصفات أن نحدد في دقة خصائص الصحراء كما تعرف في لغة العرب وأدبهم. فمن صفات الصحراء :

١ – القفْر: الخلاءُ من الأرض، والمفازة لا ماء فيها ولا نبات ([١٥]) . قال الأعشى ([١٦]) :

وبيداءَ قفْرٍ كبردِ السدير مشاربها داثـرات أجن ([١٧])

ووصف امرؤ القيس القفْر في قوله ([١٨]) :

وقفْرٍ كظهر الترس محلٍ مضِلةٍ *** معاطِش مجرى الماءِ طامِسةِ القلا

٢ – الفلاة : القفْر من الأرض، سميت بذلك لأنها فُليت عن كل خـير، أي فطمت وعزلت. وقيل: الصحراء الواسعة. وقيل: هي التي لا ماء فيها. وقال النضر بن شـميل ([١٩]) : هي التي لا ماء فيها ولا أنيس، وإن كانت مكْلِـئةً. والجمع: فَلاة، وفَلَـوات، وفُلِي، وفِـلِي ([٢٠]) . قال حميد بن ثور الهلالي يصف قطاة :

وتأوي إلى زغْبٍ مساكين دونا *** فـلاة، ما تخطاه العيونُ مهوب ([٢١])

٣ – البرية : الصحراء. والجمع: البراري ([٢٢]) .

٤ – البيداء : الفلاة، والمفازةُ لا شيءَ بها، وسميت الصحراءَ بيداءَ؛ لأنها تبيد سالكها، والإبادة : الإهلاك، والجمع بيد وبيداوات ([٢٣]) . قال الحطيئة([٢٤]):

وطاوي ثلاثٍ، عاصِبِ البطْن، مرمِلٍ ** ببيداءَ لم يعرف بها ساكِن رسما ([٢٥])

وقال المتنبي ([٢٦]) :

أما الأحبةُ فالبيداءُ دونـهم *** فليت دونك بِيدا دونا بِيد

٥- القَيقاء: الصحراء الملساء، والمفازةُ لا ماءَ فيها، والجمع القيافي. والقيف: المكـان المستوي، والجمع أقْياف وقُيوف ([٢٧]) . قال ذو الرمة ([٢٨]) :

طواها إلى حيزومِها وأنطوت لها *** جيوب القيافي حزنها ورمالُها ([٢٩])

٦ – المفازة: البرية القفْر. ويقال لها أيضا المفاز، والجمع مفاوز. قال ابـن الأعـرابي، سميت الصحراءُ مفازةً؛ لأنّ من خرج منها وقطعها فاز. وقال: سميت المفازة من فوز الرجل

إذا مات ([٣٠]) . قال امرؤ القيس ([٣١]) :

وكم دونـها مـن مهمهٍ ومفازةٍ ** وكم أرض جدبٍ دونا ولصوص ([٣٢])

٧ – البسبس : البر المقفر الواسع، والجمع: البسابس ([٣٣]) .

٨ – السبسب : القَفْر، والقَفْر البعيدة مستويةً وغير مستوية، وغليظة وغير غليظة، لا ماء فيها ولا أنيس، والسبسب: الأرض الجدبة، والجمع: السباسب ([٣٤]). وقال عبيد بن الأبرص ([٣٥]) .

أنى اهتديت لركبٍ طال سيرهم *** في سبسبٍ بين دكْداكٍ وأعقادِ!([٣٦])

٩ – التيهاء : المفازة يتاه فيها، أي يضل ولا يهتدى لطريق، والأرض المضلة الواسعة لا أعلام فيها ولا جبال ولا آكام ([٣٧]) . قال ذو الرمة ([٣٨]) :

بِتيهاءَ مِقْفارٍ يكـاد ارتكاضها ** بآل الضحى والهَجر بالطـرفِ يمصح ([٣٩])

١٠ – الديمومة والديموم : الفلاةُ يدوم السير فيها لبعدها، والأرض المستوية لا أعلام بها ولا طريق ولا ماء ولا أنيس وإن كانت مكْلِئَـةً، والجمع: الداميم. قال أبو عمـرو: الداميم الصحارى الملس المتباعدة الأطراف ([٤٠]) . قال الأعشى ([٤١]) :

فوق ديمومةٍ تغولُ بالسفْـ *** ـرِفقارٍ إلاّ من الآجـال ([٤٢])

١١ – المَهمه : المفازة البعيدة، والخَرق الأملس الواسع، والفلاة لا ماء بها ولا أنيـس، والبرية القفر، والجمع مهامِه. قال الشاعر :

في تيهِ مهمهةٍ كأنّ صـ ـويها *** أيدي مخالِعةٍ تكّف وتنهد ([٤٣])

وقال امرؤ القيس ([٤٤]) :

مهامِهِ موماةٍ من الأرض مجهل * تداعى على أعلامِهِ البوم والصدى ([٤٥])

١٢- الخَرق : الفلاة الواسعة، والأرض البعيدة مستوية كانت أو غير مستوية، سميت بذلك لانخراق الريح فيها، والجمع: خروق ([٤٦]) . قال معقِل بن خويلد الهذلي:

وإنهـا لجوابـا خـروقٍ *** وشرابان بالنطَفِ الطوامي ([٤٧])

وقال امرؤ القيس ([٤٨]) :

وخرقٍ بعيدٍ قد قطعـت نِياطه على ذات لَوثٍ سهوةِ المَشي مِذْعان ([٤٩])

وقوله ([٥٠]) :

وخرقٍ كجوفِ العير قَفْرٍ مضِلةٍ ** قَطعت بِسامٍ ساهمِ الوجهِ حسان ([٥١])

١٣ – الصرماء : الفلاة، والمفازة لا ماءِ فيها ([٥٢]) .

١٤ – القَدفَد : الفلاة التي لا شيء فيها . وقيل: الأرض الغليظة ذات الحصى، وقيل: الموضع الصلب، والمكان المرتفع فيه صلابة، وقيل: الأرض المستوية. والجمـع: فدافـد ([٥٣]) .

١٥ – المَوماة : المفازة الواسعة الملساء، والفلاة التي لا ماء فيها ولا أنيس، وهي جماع أسماء الفَلَوات، والجمع موامٍ ([٥٤]) . قال تأبط شرا ([٥٥]) :

يظل بموماةٍ ويمسي بغيرها *** جحيشا ويعروري ظُهور المهالكِ ([٥٦])

١٦ – القِي والقَواء: القفر من الأرض، والأرض المستوية الملساء ([٥٧]). قال العجاج ([٥٨]) :

وبلدةٍ نِياطُها نطِـــي *** قِفي تناصِيها بلادٌ قِي ([٥٩])

١٧ – التنوفة : المفازة، والأرض القفر، وقيل: الأرض المتباعدة الأطراف، والتي لا ماء فيها من الفلوات ولا أنيس، وإن كان معشبة، والجمع تنائف ([٦٠]) . قال امرؤ القيس ([٦١]) :

وتنوفةٍ جرداءَ مهلكةٍ جاوزتها بنجائبٍ فُتل ([٦٢])

١٨ – الدو : الفلاة الواسعة، والمفازة، وقيل: الأرض المستوية الملساء([٦٣]) . والدو: أرض مسيرة أربع ليال شبه ترس خاوية يسار فيها بالنجوم، ويخاف فيها الضـلال، وهـي على طريق البصرة متياسرة إذا أصعدت إلى مكة، وإنما سميت الدو؛ لأن الفـرس كانـت لطائمهم تجوز فيها، إذا سلكوها تحاضوا فيها بالجد، فقالوا بالفارسية : دودو ([٦٤]) ، قال الأزهري ([٦٥]) : ((وقد قطعت الدو مع القرامطة – أبادهم الله – وكانـت مطرقهـم قافلين من الهبيـر، فسقوا ظهرهم، واستقوا بحفر أبي موسى ([٦٦]) الذي علـى طر يق البصرة، وفوزوا في الدو، ووردوا صبيحة خامسة ماءً يقال له: ثَبرة، وعطِبت فيها بخـت كثيرة من إبل الحاج لبلوغ العطش منها والكلال)) .

قال الحسن بن عبدالله الأصفهاني المعروف بلغدة ([٦٧]) : ((والـدو أرض مستويـة مفازة لا ماء به ولا شجر ولا جبال، مسيرة أربعة أيام، فيعان، وهو لأفناء تميم، وليس بـه ماء ولا شجر، ولا ينبت إلا النصِي والسخبر ([٦٨]) وما أشبههما، لا ترى بـه شـجرة مرتفعة رأسـًا، لا عرفجة ([٦٩]) ولا غيرها، إنما تراه مِبياضـًا كُله)) .

قال ذو الرمة ([٧٠]) :

ودو ككف المُشتري غير أنه ** بِساطٌ لأخماس المراسِيل واسع ([٧١])

والدوية كالدو، والياء فيها زائدةٌ ليست بياء نسبة ([٧٢]) . وقال أيضا:

ودويةٍ يحار بـها القَـطا ** أدِلاَّءُ ركْبانها بنات النجائبِ ([٧٣])

وقال العجاج ([٧٤]) :

دويةٌ لِهـولِهـا دوي ** للريح في أقرابِها هـوي ([٧٥])

ومثلها الداوية ([٧٦]) ، قال امرؤ القيس ([٧٧]) :

وداويةٍ قفْرٍ كأن الصدى بها ** إذا ما دعا عند المساءِ حزين ([٧٨])

١٩ – البلْقع والبلْقعة : الأرض القفْر التي لا شيءَ فيها من شجر ونحوه([٧٩]).

٢٠ – المَرت : المفازة لا نبات فيها ([٨٠]) . قال امرؤ القيس ([٨١]) :

بِيد مسهبةٌ، مرت مخفقـــةٌ ** يهماءُ حِر باؤها للشمس منتصِب ([٨٢])

٢١ – التيماء : الفلاة الواسعة . وقال الأصمعي: التيماءُ التي لا مـــاءَ فيها، وأرض تيماءُ: مضِلّة مهلكةٌ ([٨٣]) .

٢٢ – اليهماء : المفازة لا ماءَ فيها، ولا يسمع بها صوت. وقيل: الفلاة لا ماءَ فيها ولا علم، ولا يهتدى لطرقها. قال الشاعر :

كُل يهماءَ يقْصر الطرف عنها أرقَلتها قِلاصنا إرقالا ([٨٤])

وقال امرؤ القيس ([٨٥]) :

فَصبحتهم ماءً بيهماءَ قَفْرةٍ ** وقد حلق النجم اليماني فاستوى

وقال عبيد بن الأبرص ([٨٦]) :

يجتاب مهمهةً يهماءَ صملقةً ** سكْن الخلائق حاذي اللحم مغتبطُ ([٨٧])

وقال الأعشى ([٨٨]) :

يهماءَ موحِشةٍ رفَعت لِعرضِها طَرفي لِأَقْدِر بينها أميالَها ([٨٩])

٢٣ – المهلكة : المفازة، لأنه يهلك فيها كثير من يسلكها ([٩٠]) .

٢٤ – النـفْـنف : المفازة البعيدة الخالية ([٩١]) : قال امرؤ القيس ([٩٢]) :

في نفْنفٍ طَامِسِ الأعلامِ ليس به ** إلا ذُؤالةُ طَاوٍ كَشحه جنب ([٩٣])

٢٥ – الصردح والصرداح والصردحةُ : الصحراءُ لا شجر بها ولا نبت، والفـلاة لا شيء فيها، والجمع: الصرادِح ([٩٤]) . قال ذو الرمة ([٩٥]) :

فجاءَت كذودِ الخاربين يشلها مِصك تهَاداه صحارٍ صرادِح ([٩٦])

٢٦ – السهب: الفلاة، وسهوب الفلاة: نواحيها التي لا مسلك فيهـا([٩٧]). قـال الأعشى ([٩٨]) :

وكم دون ليلى من عدو وبلْدةٍ ** وسهبٍ به مستوضِح الآل يبرق ([٩٩])

ومن أدق ما وصفت به الصحراء شعرا قول المُرقش الأكبر ([١٠٠]) :

١- ودوِيةٍ غَبراءَ قد طال عهدها	تهالَك فيها الورد والمرءُ ناعِس ([١٠١])
٢- قطعت إلى معروفها منكراتِها	بِعيهامةٍ تنسل والليلُ دامِس ([١٠٢])
٣- تركْت بها ليلاً طويلاً ومنزلاً	وموقَد نارٍ لم ترمه القَوابِس ([١٠٣])
٤- وتسمع تزقاءً من البوم حولنا	كما ضربت بعد الهدوءِ النواقِس ([١٠٤])
٥- فيصبح ملْقَى رحلِها حيثُ عرست	من الأرض قد دبت عليه الرواَمِس ([١٠٥])
٦- وتصبح كالدودةِ ناطَ زمامها	إلى شعبٍ فيها الجواري العوانِس ([١٠٦])
٧- ولما أضأنا النار عند شِوائِنا	عرانا عليها أطلس اللون بائِس ([١٠٧])
٨- نبذْت إليه حزةً من شِوائِنا	حياءً، وما فُحشِي على من أجالِس ([١٠٨])
٩- فَآض بها جذْلانَ ينفُض رأسه	كما آب بالنهبِ الكَمِي المُحالِس ([١٠٩])
١٠- وأعرض أعلام كأن رؤوسها	رؤوس جبالٍ في خليجٍ تغامس ([١١٠])
١١- إذا علَم خلفْته يهتدى به	بدا علم في الآل أغْبر طَامِس ([١١١])

وصف المرقش الصحراء بأنا مفازة واسعة شاسعة الأرجاء، جافـة، يعلوهـا الغبـار، وتتلاشى فيها الأصوات، لا أثر فيها للماء، ولا ما يقيم الحياة، تكاد الإبل التي تسير فيهـا تتعرض للهلاك والموت. ويذكر أنه ألم بها وسار في جنباتها، وأفضى به السـير إلى أماكـن مجهولة موحشة يضرب فيها يمنة ويسرة، لا يتهدى لعلم معروف وطريق مأثور، ووسيلته في ذلك مطيته القوية الصلبة السريعة التي تغذ السير، والليل قد مد رواقه، وأرخى سـدوله.

وتمكن أن يقطع هذه الفلاة الواسعة، والليل لا تزال منه بقية، وغادر المكان الذي نزل فيه طلبـًا للراحة، وفيه موقد ناره الذي لم يلم به قابس؛ لأنه في مكان موحش ناءٍ لا يطرقه المسافرون.

ويضاف إلى ما ذكره من خصائص الصحراء أنه يتهادى إلى سمعه أصوات البوم، وهـي من طيور الصحراء والخراب التي يشبه صياحها بضرب النواقيس، ويصف موضع رحلـه حيث عرس بأنه أصبح أثرا بعد عين أن سفت عليه الرياح فمحت كل أثر. ويقص علينا ما تعانيه حيوانات الصحراء من جوع ومسغبة، من أظهرها الذئب الذي جلبته رائحة الشواء، فأقبل يتهادى على الرغم من أنه يخشى الإنسان، وينفر من ضياء النار، فرمى إليه قطعةً من الشواء، فآب ينفض رأسه جذلاً وحبورا بعد أن ظفر ببعض ما يسد جوعـه، ويشبهـه في أوبته بأوبة فارس شجاع كمي السلاح من ساحة الحرب بعد أن نال من غنائم العدو مـا نال.

ويذكر منظرا من طبيعة الصحراء، وهو أنه يمر في سيره بجبال تكاد تغرق في السراب، ويشبه قننها ورؤوسها برؤوس جبال يكتنفها الماء، فهي تبدو تارة وتختفي أخرى. ويؤكـد هذا المعنى في البيت الأخير، وهو أنه كلما تجاوز جبلاً يهتدي به بدا جبل أغبر آخر يلـوح من خلال السراب لا يكاد يرى .

والرحلة في قلب الصحراء ووصف مسالكها ودروبها ومعالمها وحيواناتهـا وطيورهـا موضوع مأثور في قاموس الشعر الجاهلي، نجد نماذج منها في القصائد السبـع أو العشـر الطوال الجاهليات التي عرفت عند بعض الباحثين بالمعلقات، وكقصيدة امرئ القيس الرائية التي وصف فيها رحلته إلى قيصر الروم مستنجدا به لاسـتعادة ملـك أبيـه ([١١٢]) ، وكقصيدة عبيد بن الأبرص الطائية ([١١٣])، وفي شعر الصعاليك أمثلة كثيرة .

أثر الصحراء في موضوعات الشعر :

لم يقتصر أثر الصحراء في الشعر العربي على وضع الأسماء والصفات الخاصة بالصحراء، وما يتصل بها من مفردات وألفاظ دلل عليها الشعر وحملها إلينا، بل تجاوز تأثيرها فيـه إلى آفاق أخرى، شملت موضوعاته ومعانيه وصوره وأخيلته وإيقاعه؛ حتى إن الدارس ليستطيع القول إن الشعر العربي وليد الصحراء، نشأ على أديمها، وتدرج في النشأة حتى اسـتقام في صورته الكاملة التي وصلت إلينا في شعر الجاهليين ودواوينهم ومطولاتهم التي بين أيـدينا. ولا نبالغ إذا قلنا إننا نجد في كل قصيدة جاهلية أثرا ظاهرا من آثار الصحراء، بل نجد هذا الأثر في شعر جميع العصور التي اقتفت الشعر الجاهلي في ألفاظه ومعانيه وصوره، غـير أن الباحث لا يجد في الشعر العربي موضوعات مستقلة خاصة بالصحراء، بـل يجـد أثرهـا وإيحاءها مبثوثين في موضوعات الشعر المختلفة. ولكي ندرك أثر الصحراء في ديوان العرب إدراكـًا شاملاً دقيقـًا لابد من استقراء ديوان الشعـر العـربي ومجموعاتـه المختلفـة؛ لنستخلص منها ما يتعلق بالصحراء. ولا يقتصر الاستقراء على الشعر الجاهلي الذي يعد شعرا لصيقًا بالصحراء، بل إن الشعر العربي كله في جميع العصور يحمل شيئـًا من سمـات الصحراء وطابعها؛ لأن التأثر والتأثير ظاهرة ملحوظة في الآداب الإنسانية، وفي طبيعتهـا

الشعر. ولكن ليس من السهل في بحث موجز كهذا البحث الإلمام بالشعر العربي كله أو معظمه، وإنما يترك ذلك لدراسات مستقبلة تكون أوعب وأوسع. بل أرى أن بعض دواوين الشعر تستحق أن تفرد بدراسة عن أثر الصحراء فيها، فمن الممكن أن تكون هناك دراسة عن أثر الصحراء في شعر امرئ القيس، أو طرفة بن العبـد، أو زهـير، أو الأعشـى، أو الصعاليك أو غيرهم من شعراء الجاهلية، بل إن أثر الصحراء في شعر بعض الشعراء غـير الجاهليين كشعر الفرزدق، وجرير، والمتنبي، والشريف الرضي جدير بأن يأخذ نصيبه مـن الدراسة. وحتى أولئك الشعراء الذين عاشوا في المدن، وأمضوا حياتهم في بحبوحة الحضارة والمدنية لم يكن شعرهم بمنأى عن التأثر بالصحراء كقول مسلم ابن الوليد الأنصاري يصف طريقه الصحراوي الذي سلكه ليصل إلى ممدوحه([١١٤]) :

١- ومجهلٍ كاطرادِ السيفِ محتجِزٍ عن الأدِلاءِ مسجورِ الصياخِيدِ ([١١٥])
٢- تمشي الرياح به حسرى مولهةً حيرى تلوذُ بأكنافِ الجلاميدِ ([١١٦])
٣- موفِ المتنِ لا تمضِي السبيلَ به إلاّ التخللَ ريثـًا بعد تجهيدِ ([١١٧])
٤- قرينته الوخد من خطارةٍ سرحٍ تفْري القَلاةَ بإرقالٍ وتوخِيدِ ([١١٨])
٥- إليك بادرت إسفار الصباح بها من جنح ليلٍ رحيبِ الباع ممدودِ
٦- وبلدةٍ ذاتِ غَولٍ لا سبيلَ بها إلاّ الظنونُ وإلا مسرح السيدِ ([١١٩])
٧- كأن أعلامها والآلُ يركبها بدنٌ توافى بها نذْرٌ إلى عيدِ ([١٢٠])
٨- كُلفْتُ أهوالَها عينـًا مؤرقةً إليك لولاك لم تكْحلْ بتسهيدِ ([١٢١])

هذه الأبيات وصف نادر للصحراء وبيئتها ودروبها لا تقل في روعتها وبلاغـتها عـن أبيات المرقش الأكبر، قالها مسلم بن الوليد- وهو شاعر عباسي - ضمن قصيدة طويلـة تتكون من مائة بيت يمدح بها داود بن يزيد بن حاتم بن خالد بن المهلب بن أبي صـفرة ([١٢٢])، وهي قصيدة ذائعة مشهورة. ونلحظ تأثره الواضح بالقصيدة الجاهلية في وصـفه للمفازة التي سلكها للوصول إلى ممدوحه؛ فهو يسمها بأنا غير معروفـة المسـالك والدروب، مستويـة يغيب فيها البصر، ولا يستطيع الأدلاء أن يهتدوا للسير فيهـا، ويصف جوها بأنه متوقد الحرارة بالقدر الذي يجعل الرياح تهب في ضعف وكلال، وتلـوذ بأكناف الصخور للبحث لها عن أماكن ظليلة. ثم يضفي وصفـًا آخر للمفازة التي سلكها، وهي أنا مختلفة الألوان تبعـًا لطبيعة الأرض، ويعاني المسافر مشقة بالغـة في التوغـل في مسالكها، والتخلل عبر منافذها الملتوية الضيقة التي تكون عـادة في الشعـاب والتـلاع والجبال. ويذكر أنه اعتمد في قطع هذه المفازة الشاسعة على ناقة صلبة سريعة سهلة السير ذات نشاط وهمة في اجتياز هذه المسافة الطويلة، وتمكن بها أن يصل إلى ممدوحه عند إشراق ضوء الصباح بعد ليل طويل داجي الظلمة أمضاه في السير. ويصف البلدة التي قصدها بأنا بعيدة بعدا مضنيـًا، يتصور الذهن أن الوصول إليها رجم من الظن والغيب، فالطريق إليها ليس إلا مسرحـًا للذئاب. ويشبه جبالها وقد كللها السراب بإبل جللت بالمطارف البيض تغذ السير لتنحر وفاء بنذر في يوم عيد، ويشير إلى أنه عانى من أهوال قطع هذه المفـازة،

واكتحلت عيناه بالأرق والسهاد؛ ليبلغ ممدوحه وينشده قصيدته .

وندرك مما تقدم أن وصف الصحراء من الموضوعات التي عني بها الشعر العربي، وإن لم يكن ذلك الوصف موضوعـًا مستقلاً، ولكنه داخل ضمن موضوعات أخرى كالمدح كما تقدم في قصيدة مسلم بن الوليد .

يضاف إلى هذا الموضوع وصف حيوانات الصحراء، ما كان منها مستأنسـًا وغير مستأنس، ومن أظهر ذلك وصف الناقة التي تعد المركب الذلول لقاطن الصحراء، ووسيلته الأولى في قطع الفيافي واجتياز المفاوز الشاسعة، ولذلك أطلق عليها سفينة الصحراء؛ لأنها تقوى على السير الطويل والحمل الثقيل، في مختلف الأجواء، وتمكث أيامـًا دون طعام أو ماء. ومن أبرز الشعراء الذين أثر عنهم شعر في وصف الناقة طرفة بن العبد البكري، الذي اشتمل ديوانه على نعوت كثيرة لها حتى إنه يستحق أن يلقب بشاعر الناقة، وأشعاره التي قالها فيها جديرة أن تفرد ببحث مستقل. ولست أرى دابة لصيقة بالصحراء وطبيعتها مثل الناقة؛ لذلك أرى أن جميع الأوصاف التي خلعها طرفة وغيره من الشعراء عليها كانت من تأثير الصحراء، ولو بطريقة غير مباشرة. وتحظى معلقته بالنصيب الأوفر من الأبيات التي وظفها في وصف الناقة، فقد حظيت منه باثنين وثلاثين بيتـًا من المعلقة ([١٢٣]) وحدها، فضلاً عن الأبيات المتفرقة في ديوانه ([١٢٤]) .

من ذلك قوله في وصفها ([١٢٥]) :

١- وإني لأمضي الهم عند احتضاره بعوجاءَ مِرقالٍ تروح وتغتدي ([١٢٦])

٢- أمونٍ كألواح الإران نسأتها على لاحِبٍ كأنه ظهر برجدِ ([١٢٧])

٣- جماليةٌ وجناءُ تردي كأنها سفَنجةٌ تبري لأزعر أربدِ ([١٢٨])

٤- تباري عِتاقـًا ناجياتٍ وأتبعت وظيفـًا وظيفـًا فوق مورٍ معبدِ (([١٢٩])

يصف ناقته بأنها هزيلة ضامرة شديدة الضمور سريعة في غدوها ورواحها، وهي مع ذلك سهلة السير مأمونة العِثار، تشبه الجمل في وثاقة التركيب والقوة، والنعامة في سرعة السير، حتى إنها لتسابق الإبل الكريمة السريعة في قطع المسافات، ويصف في دقة بالغة هيئة يديها ورجليها أثناء السير، وهي تتابعهما في حركة سريعة خاطفة .

وليس في الإمكان أن أورد ما قاله طرفة في الناقة في بحث موجز كهذا، والمثال الواحد نموذج لأمثلة كثيرة مماثلة .

ومن شعراء الجاهلية الذين عنوا بوصف الناقة الشاعر الجاهلي المثقب العبدي، فله في ذلك قصيدة دالية ([١٣٠]) حشد فيها عددا من نعوت ناقته، منها قوله ([١٣١]) :

١- عرفـاءَ وجنـاءَ جماليةٍ مكْريةٍ أرساغُها جلْـمدِ ([١٣٢])

٢- تنمِي بنهـّاض إلى حاركٍ تَم كركْن الحَجر الأصلـَدِ ([١٣٣])

٣- كأنما أوب يديـها إلى حيزومِها فوق حصى القَدفَدِ ([١٣٤])

٤- نوح ابنةِ الجَون على هالكٍ تندبه رافعةَ المجلـَدِ ([١٣٥])

٥- كلَفْتُـها تهجِـير داويةٍ من بعدِ شأوي لَيلها الأبعدِ ([١٣٦])

٦- في لاحِـبٍ تعزف جِنانه منقهق القَفْرة كالبرجـدِ (([١٣٧])

وله قصيدة نونية وصف فيها الناقة، مطلعها ([١٣٨]) :

أفاطم قبـل بينِك متعِـيني *** ومنعكِ ما سألتكِ أنْ تبيني ([١٣٩])

ومنها قوله ([١٤٠]) :

١- فَسل الهم عنك بذاتِ لَوثٍ عذَافِرةٍ كمِطرَقةِ القُيون ([١٤١])
٢- بصادِقةِ الوجيف كأن هرا يباريها ويأخذُ بالوضين ([١٤٢])
٣- كَساها تامِكًا قَردا عليها سوادِي الرضِيح مع اللجِين ([١٤٣])
٤- إذا قَلِقت أشد لها سنافـًا أمام الزور من قلَق الوضِين ([١٤٤])
٥- كأن مواقِع الثِفناتِ منها معرس باكراتِ الوِردِ جون ([١٤٥])

ومنها البيتان المشهوران ([١٤٦]) :

١- إذا ما قُمت أرحلُها بِليلٍ تأوه آهـةَ الرجـــــــــل الحَزين
٢- تقـــــولُ إذا درأت لها وضِيني: أهـذا دينـه أبـدا ودِيني ([١٤٧])؟!

ووصف الحيوانات والطيور يكثر دورانه في الشعر الجاهلي خاصة، وليس من المتيسـر أن نلم بالموضوع، ويكفي أنني اتخذت من وصف الناقة نموذجـًـا؛ لارتباطهـا الوثيـق بالصحراء، واعتماد العرب عليها في التنقل والترحال عبر مسالك جزيرتهم .

ووصف الحيوانات والطيور امتد عبر مسيرة الشعر العـربي إلى العصـر الحـديث ([١٤٨]) .

ومن الأوصاف التي أوحت بها الصحراء إلى الشعراء وصف البرق والرعد والسحـاب والمطر والسيل والرياح، ويمثل ذلك قول أوس بن حجر([١٤٩]) :

١-قد نمت عني وبات البرق يسهرني كما استضاءَ يهودِي بِمصباح
٢- يا من لبرقٍ أبيت الليلَ أرقُبه في عارِض كمضيءِ الصبح لّماح ([١٥٠])
٣- دانٍ مسِف فُويق الأرض هيدبه يكاد يدفَعه من قام بالراح ([١٥١])
٤- كأن ريقَه لما علا شطِبـًا أقراب أبلَق ينفِي الخيلَ رماح ([١٥٢])
٥- هبت جنوب بأعلاه ومالَ به أعجاز مزنٍ يسح الماءَ دلاح ([١٥٣])
٦- فالتج أعلاه ثم ارتج أسفلُه وضاق ذرعـًا بِحمل الماءِ منصاح ([١٥٤])
٧- كأنما بين أعلاه وأسفلِه ريطٌ منشرةٌ أو ضوءُ مِصباح ([١٥٥])
٨- ينزع جِلْد الحَصى أجش مبترك كأنه فَاحِص أو لاعِب داحِي ([١٥٦])
٩- كأنّ فيه عِشارا جِلةً شرفـًا شعثـًا لهَاميم قد همت بِإرشاح ([١٥٧])
١٠- هدلاً مشافِرها بحـًا حناجِرها تزجِي مرابيعها في صحصح ضاحِي ([١٥٨])
١١-فأصبح الروض والقيعان ممرعةً من بين مرتفِق منها ومن طاحِي (([١٥٩])

ذكر أوس أنه بات ليله سهرا يرقب البرق الذي بدا يلوح في عارض السحاب كفلـق الصبح، وانتقل إلى وصف السحاب، فأشار في البيت الثالث إلى أنه يحمل ماء غزيرا لدنوه من الأرض، وتدلي ذيوله وهماليله حتى ليكاد المرء أن يلمسه بيده، فهو سحاب مثقل بالماء. ثم وصف هطول المطر وأثره في الأرض، وذكر أنه لغزارته وقوة جريانه يكاد ينزع جلـد

الحصى ووجه الأرض، ولم يغفِلْ وصف الرعد الذي صحب تدفق المطر من السحـب، فقد شبهه بصوت حنين نياق مسنة تهدلت مشافرها، وبحت أصواتها كِبرا، تسوق أولادهـا في قاع ممتد.

والبيت الثالث من الأبيات المشهورة .

ولامرئ القيس أبيات فائية عدتها ثلاثة عشر بيتـًا وصف فيها السحاب والرعد والمطر والسيل أفضى فيها إلى الغاية ([١٦٠]) .

واختصت الصحراء بأشجار ونباتات معينة، بعضها يتحمل البيئة القاسية مـن شـدة حرارة وبرودة وقلة مطر، وبعضها ينبت إبان الربيع بعد هطول الأمطار. وشاع في الشعـر العربي ذكر لكثير من هذه الأشجار والنباتات التي عرفها سكان الصحراء، واستعانوا بها في حياتهم وأعمالهم ورعي أنعامهم، واستخدموا ثمار بعضها في غذائهم كالنخيل والزروع التي تنتج القمح والشعير والدخن، ووظفوا أغصانا في صنع الرماح والقسي والسهام والعصي، وخشبها في صنع الرحال والأقتاب والهوادج، ولوقود النار، وغير ذلك من المنـافع الـتي أحسن العرب صنعها واستخدامها. ومن حسن الحـــظ أن كثـيرا مـن أســـماء الأشجار والنباتات لا تزال تحتفظ بأسمائها التي عرفت بها في الشعر الجاهلي، وانتقلت عبر هذه القرون الكثيرة من السلف إلى الخلف مشافهة حتى وصلت إلينا.

غير أن جميع أنواع الأشجار والنباتات الصحراوية لم ترد في شعر العرب في موضوعات مستقلة، بل وردت أسماؤها متناثرة في أبيات متفرقة في دواوين الشعر ومجاميعه، والذيـن عرضوا لتحقيق الدواوين وجمع الأشعار لم يعنوا بوضع فهرس للنباتات والأشـجار الـتي تضمنتها إلاّ قليلاً منهم، على الرغم من أهمية هذا الفهرس وضرورته، وكـان عملـهم في الفهارس منصبـًا على التقليدي منها، كفهرس الأشعار، والأعلام، والقبائل والطوائـف، والمواضع والأمكنة؛ ولذلك فإن الدارس المعني بالموضوع مضطـر إلى قـراءة الدواويـن والمجموعات الشعرية وتصفحها؛ حتى يعثر على بغيته. ومن هنا تأتي أهمية الفهارس الشاملة المفصلة؛ لأنا تضع أمام الباحث مفاتيح الدراسة، وتوفر له جهدا ووقتـًا من الممكـن أن يستغلها في جوانب مهمة من دراسته .

ولذلك ستكون نماذج الاستشهاد أبياتـًا مفردة؛ لتعذر العثور على نصـوص شـعرية متكاملة. والأسماء التي وضعها العرب للأشجار والنباتات هي من وحي بيئـة الصحراء وتأثيرها، فحق أن ينسب ذلك كله إلى أثرها في الشعر. وليس من المستطاع أن ألم بجميع ما ورد في الشعر العربي، أو الشعر الجاهلي بخاصة من الأسماء، فحسبي ذلك بعض النمـاذج والأمثلة التي تثري الموضوع وتدل عليه، ويقاس عليها ما سواها مما تحفل به دواوين الشعر ومجاميعه. وسأذكر فيما يلي اسم الشجرة أو النبتة، وأعرف بها، ثم أذكر شاهدها الشعري.

١- النخلة، قال أوس بن حجر ([١٦١]) :

وقتلى كمِثْل جذُوع النخِيل *** تغشاهم مسِيلٌ منهمِر ([١٦٢])

والمعنى والتشبيه واضحان .

٢ – الشري : وهو شجر صحراوي يفترش الأرض، يشبه شجر البطيـخ الأحمـر

(الحبحب) أو (الرقي) كما يسمى في العراق، وله حدج في مثل حجم البرتقال، وبعضه في مثل حجم البطيخ، شديد المرارة، تأكله بعض الحيوانات، ويقال له الحنظل أيضا، وله حب صغير يسمى الهبيد، الواحدة شرية ([١٦٣]) . وهبيده يعالج حتى تذهب مرارته، ثم يؤكل لبه، وهو لذيذ خفيف على المعدة. قال أوس ([١٦٤]) :

ألم تريا إذْ جئتما أن لحمها ** به طَعم شري لم يهذب وحنظلُ؟! ([١٦٥])

وكان العرب في الجاهلية يأكلون لب الهبيد. قال امرؤ القيس ([١٦٦]) :

كأني غداةَ البين يوم تحملوا ** لدى سمراتِ الحي ناقِف حنظل ([١٦٧])

وكان لب الهبيد يؤكل في نجد إلى وقت قريب .

٣ – الخزامى: نبت ربيعي طيب الرائحة واحدته خزاماة. قال أبو حنيفة الدينوري:)) الخزامى عشبة طويلة العيدان، صغيرة الورق، حمراء الزهرة، طيبة الريح، لها نور كنور البنفْسج ((([١٦٨]) . قال امرؤ القيس ([١٦٩]) :

كأن المُدام وصوب الغمامِ وريح الخُزامى ونشر القُطُر ([١٧٠])

يعل به برد أنيابها إذا طَرب الطائر المُستحِر ([١٧١])

وقال عبيد بن الأبرص ([١٧٢]) :

وريح الخُزامى في مذانِبِ روضةٍ ** جلا دِمنها سارٍ من المُزن هطال ([١٧٣])

ولا يزال الخزامى معروفًا بهذا الاسم والصفة في جزيرة العرب، ويكثر نبته إبان الربيع .

٤ – العرفَج : نبات صحراوي ينمو في السهول وعلى ضفاف الأودية، له عيدان دقاق كثيرة، وزهره أصفر، وورقه صغير، ورائحته طيبة، ولون أغبر يميل إلى الخضرة ما دام غضًا، ويبيض إذا يبس، تأكله الإبل والغنم رطبًا ويابسًا، ولهبه شديد الحمرة، واحدته عرفجة ([١٧٤])، ولا يزال يعرف بهذا الاسم. قال الراعي النميري ([١٧٥]) :

كدخان مرتجِلٍ بأعلى تلْعةٍ غَرثانَ ضرم عرفَجًا مبلُولا ([١٧٦])

٥ – العوسج: شجر ذو شوكٍ من العِضاه، ينمو في صحارى نجد، ويتحمل العطش، له ثمر أحمر صغير مدور، كأنه خرز العقيق ([١٧٧])، يستطاب أكله، ويقال له في نجد: النبق. وقد أكلناه ونحن صغار، وهو لذيذ الطعم. قال الشماخ ([١٧٨]) :

منعمةٌ لم تدر ما عيش شِقْوةٍ ولم تغتزلْ يوما على عودِ عوسج ([١٧٩])

٦ – الأقْحوان: من نبات الربيع مفَرض (محزز) الورق، دقيق العيدان، له نور أبيض كأنه ثَغر جارية حديثة السن، طيب الرائحة، تشبه به الأسنان، ويجمع على أقاحٍ ([١٨٠]) ، وهو معروف بهذا الاسم في صحراء نجد. قال ذو الرمة ([١٨١]) :

إذا أخذَت مِسواكَها صقلَت به ** عِذَابا كنورِ الأقْحوان المُهطل ([١٨٢])

٧ – الخِمخم : نبات تعلف حبه الإبلُ، ويروى بالحاء المهملة الحِمحِم، وهو الشقَارى ([١٨٣]) ، وبهذا الاسم يعرف في نجد. قال عنترة ([١٨٤]) :

ما راعِني إلا حمولةُ أهلِها وسطَ الديارِ تسف حب الخِمخِمِ ([١٨٥])

٨ – الجَنْجاثُ: نبات ينمو في القيعان والرياض، له زهـرة صـفراء، تشبـه زهـرة العرفَجة طيبة الرائحة، يشبه القيصوم، تأكله الإبل والغنم إذا لم تجد غيره، وهو مر الطعم، تستطيبه العرب، وتكثر ذكره في أشعارها، واحدته جنْجاثة([١٨٦]). ويعرف بهذا الاسـم في إقليم نجد، ويستعمل هو والقيصوم كماءً للنخل حماية لثمره من الجراد. قال كثـير عزة ([١٨٧]) :

فما روضةٌ بالحَزن طيبةُ الثـ ـ ـ ـرى يمج الندى جنْجاثُها وعرارها ([١٨٨])
بأطيب من فيهـ ـا إذا جِئْت طارقـًا وفـ ـ ـ ـد أُوقدت بالمِجمر اللدن نارها

٩ – العرار نبت طيب الرائحة، يسمى بهار البر، وقال ابن بري: هو النرجِس الـبري، واحداته: عرارة ([١٨٩]) .

قال الصمةُ القشيري ([١٩٠]) :

تمتع من شميم عرار نجدٍ فما بعد العشِيةِ من عرار
ألا يا حبـذا نفَحـات نجـدٍ وريا روضـه بعد القِطـَار (([١٩١])

وقال الأعشى ([١٩٢]) :

بيضاءُ غُدوتها وصـ *** فْراءُ العشِيةِ كالعراره ([١٩٣])

١٠ – القيصوم: ينبت في القيعان والرياض وضفاف الأوديـة كالجنجـاث، طيـب الرائحة، وورقه هدب، يعد من رياحين الصحراء، له نور أصفر، ينهض على ساقٍ تطول ([١٩٤])، ويكم به النخل كالجنْجاثِ، وهو معروف بهذا الاسم في ديار نجـد حـتى الآن، وينمو كالجَنْجاثِ كثيرا. قال جرير ([١٩٥]) :

نبتت بمنبِتِه فَطاب لِشمها *** ونأت عن الجَنْجاثِ والقَيصومِ

وقال الشاعر ([١٩٦]) :

بلاد بها القَيصوم والشيح والغضى

١١ – الشيح: نبات سهلي ينبت في القيعان والرياض، وهو من الأمرار، لـه رائحـة طيبة، وطعم مر، وهو مرعى للخيل والنعم، كان العرب يتخذون منه المكانس ([١٩٧]) .

قال الشاعر ([١٩٨]) :

في زاهر الروض يغطي الشيحا

١٢ – الغضى: من نبات الرمل، له هدب كهدبِ الأرطى، وهو من أجودِ الوقودِ عند العرب، واحدته غَضاةٌ ([١٩٩]) . قال سحيم عبد بني الحَسحاس([٢٠٠]):

كأن الثريا علقَت فوق نحرها وجمر غضى هبت له الريح ذاكِيا

وأهل الغضى أهل نجد لكثرته في بلادهم([٢٠١]).قالت أم خالد الخثعمية ([٢٠٢]) :

فإنْ كُنت من أهل الحجاز فلا تلِج وإن كُنت نجديـًا فَلِج بِسلامِ
رأيت لهم سِيماءَ قَـومٍ كرهتهم وأهـلُ الغضى قوم علي كـرام

١٣ - السلَم: شجر من العِضاه، ليس له خشب، وله شوك دقاق طُوال حاد إذا أصاب رجل الإنسان، وله زهرة صفراء فيها حبة خضراء طيبة الرائحة، وفيها شيءٌ من مـرارة، واحدته سلَمة ([٢٠٣]) . قال الشاعر ([٢٠٤]) :

كُلي سلم الجرداءِ في كُل صيفةٍ *** فإنْ سألوني عنكِ كُل غَريم ([٢٠٥])

وقال الراجز ([٢٠٦]) :

إنك لن ترويها فاذهـب ونـم *** إن لها ربا كمعصال السلم ([٢٠٧])

١٤ – الحرمل: شجر دائم الخضرة، صحراوي، ينبت في السهول، مر الطعم، تعافه الدواب ما عدا المعزى، وفي امتناعه عن الأكلة ([٢٠٨]) قال طرفةُ يذم قوما ([٢٠٩]) :

هم حرملٌ أعيا على كُل آكِلٍ مبيتًا، ولو أمسى سوامهم دثْرا ([٢١٠])

وسميت حرملاء بهذا الاسم لكثرة نبات الحَرمل في أرضها ([٢١١]) ؛ وهي المعروفة الآن بحريملاء، وتقع شمالي الرياض بنحو مئة كيلٍ . قال أوس ([٢١٢]):

تجللَ غَدرا حرملاءَ وأقلعت سحائِبه لما رأى أهلَ ملْهما ([٢١٣])

١٥- القَرظ: شجر يدبغ به. قال أبو حنيفة الدينوري: القرظ أجود ما تدبغ به الأهب (الجلود) في أرض العرب، وهي تدبغ بورقه وثمره، واحدته قَرظَةٌ ([٢١٤]) . وأغصانه طويلة لدنة، وهو معروف باسمه حتى الآن في جزيرة العرب، ورأيناه تدبغ به الجلود ونحن صغار. قال أبو ذؤيب الهذلي ([٢١٥]) :

وحتى يؤوب القارظان كلاهما *** وينشر في القَتلى كُليب بن وائل ([٢١٦])

١٦- السبطُ: نبات صحراوي رملي سلِب ([٢١٧]) طُوال دقيق العيدان، تأكله الإبل والغنم والبقر، وليس له زهر ولا شوك، وله ورق دقاق على قدر الكُراث، يشبه نبات الدخن، الواحدة سبطة، وأرض مسبطةٌ كثيرةُ السبط ([٢١٨]).

قال ذو الرمة يصف رملاً ([٢١٩]) :

بين النهار وبين الليل مـن عقِدٍ *** على جوانبِهِ الأسباطُ والهَدب ([٢٢٠])

وأسماء النباتات والأشجار الصحراوية التي حملها إلينا الشعر العربي كثيرة، وهي لا تزال معروفة حتى الآن بأسمائها وصفاتها في جزيرة العرب، ويصعب تعدادها والإحاطة بها في هذا البحث، من ذلك الأرطى ([٢٢١])، والصمعاءُ ([٢٢٢])، والنصِي ([٢٢٣])، والحَمض ([٢٢٤]) والرمثُ ([٢٢٥])، والبسباس([٢٢٦])، والثمام ([٢٢٧])، والربل ([٢٢٨])، واحدته ربلة، وهي أسماء متعددة تحتاج إلى بحث مستقل .

أثر الصحراء في معاني الشعر :

لحظنا في الصفحات السابقة أن للصحراء أثرا واضحًا في توجيه موضوعات الشعر التي عبرت عن بيئة الصحراء، وما زاوله سكانها من نشاط وأعمال، ووصلت إلينا حاملة طابع الصحراء في شكلها ومضمونا؛ فالألفاظ التي تضمنتها الموضوعات المنبثقة عن الصحراء غزيرة تمثل معجمًا ضخمًا، وما يندرج تحتها من معانٍ أضاف إلى الشعر ثروة وامتدادا؛ فوصف الرحلة عبر الصحراء، ووصف طبيعتها وسهولها وحزونها وحيوانها ونباتها، وما يتصل بذلك من نشاط تضمن معاني كثيرة، أغنت الشعر العربي، وزودته بمضامين وأفكار جديدة، ما كان ليظفر بها لو وجد في بيئة أخرى؛ فجميع الشعراء الجاهليين والإسلاميين والأمويين الذين أتيح لهم أن يعيشوا في الصحراء اقتصروا في معاني شعرهم على ما أوحت به إليهم بيئتها وأجواؤها، فحينما نقرأ شعر امرئ القيس، أو أوس

بن حجر، أو زهير بن أبي سلمى نلحظ أن طوابع الصحراء ماثلة في شعرهم، والمعـاني التي طرقوها تتجسد فيها إيحاءات الصحراء؛ فالشعر العربي، وشعر كل أمة ابن بيئتـه، ولا يمكن أن يحمل مضامين بيئة أخرى غريبة عنه، إلا إذا انسلخ الشاعر عن جلدته، واسـتعار جلدة أخرى، وحتى الموضوعات التقليدية من مدح وغزل، وهجـاء وعتـاب واعتـذار يستحيل أن تتنصل عن تأثير الصحراء؛ ولذلك نجد بعض الدارسـين اتجهـوا في بحوثهـم ودراساتهم إلى استنباط حياة العرب من شعرهم، وكان نجاحهم في هذا الاتجاه بارزا؛ لأنهم وصلوا إلى معلومات ثمينة نادرة عن حياة العرب في صحرائهم. ولعل في هـذا ردا علـى مقولة إن الشعر الجاهلي أكثره موضوع، وكيف يتسنى أن يكون موضوعا أو منحولاً وهو يمثل بيئتهم الصحراوية في جزيرة العرب بأماكنها ومواضعها ومسالكها وحيواناتها ونباتاتها أصدق تمثيل؟ وكيف يتاح لواضع هذا الشعر أن يتمثل هذه البيئة كلها في شعر ينظمـه ثم ينحله الجاهليين؟ وتبين لي من خلال الشواهد الشعرية التي أثبتها في البحث صدق الشاعر الجاهلي ودقته في تحديد الأماكن وصحة الأسماء والأوصاف التي أطلقهـا علـى الحيـوان والنبات، والدليل على ذلك أن كثيرا من أسماء المواضع والأماكن لا تزال تحتفظ بأسمائهـا التي عرفناها في الشعر الجاهلي، وقد أشرت إلى ذلك في مواضعه من البحث، ولذلك ينبغي أن نستنبط ردودنا على من ينكر صحة الشعر الجاهلي من الشعر نفسه، ونطبق ما ورد فيه من أسماء الأماكن والمواضع والحيوان والنبات على واقع الحال المشاهد، ونستـدل مـن الأوصاف ومظاهر الحياة الاجتماعية التي دونا الشعر على نظائرها التي احتفظت ببقائهـا إلى وقت قريب، ويعود السبب في ذلك إلى أن الصحراء بقيت إلى عقود قريبة محافظة على خصائصها وسماتها وبيئتها التي قرأناها في الشعر الجاهلي والأموي، وكـان سـكانها قبـل توطينهم وتحضرهم يمارسون الأعمال نفسها التي كان يمارسها عرب الجاهلية، ومن أظهرها الاعتماد في حياتهم على إنتاج الصحراء من حيوان ونبات، والتنقل في مسالكها بحثـًا عن المياه والمراعي، أو شن الغارات على الخصوم، وغير ذلك من المهمات التي نسمعهـا عـن عرب البادية في شكل قصص وأخبار، ولا نجد في مضمونها اختلافـًا عما كنا نقرؤه عـن عرب الصحراء في عهود سحيقة، ووجه الاختلاف الوحيد وسيلة النقل، نقرأ أخبار العرب وقصصهم في الجاهلية والإسلام، وما يصحبها من أشعار باللغة الفصحى، أ ما أحفادهـم عرب البادية فنسمع أخبارهم وقصصهم وأشعارهم من أفواه الرواة باللهجة العامية، ولابد من الإشارة إلى أنه سقط الكثير من أخبار العـرب في الجاهليـة والإسـلام وقصصهـم وأشعارهم، وما وصل إلينا من ذلك لا يمثل إلا القليل مما فقد، والسبب في ذلك واضـح، وهو أن التدوين الكتابي الفعلي لم يبدأ إلا في القرن الثاني الهجري، كذلك لم يـدون مـن أخبار عرب الصحراء في جزيرة العرب وقصصهم إلا القليل جدا، ولم يبدأ التدوين إلا منذ عهد قريب، ممثلاً في الكتب التي تعنى بالأدب الشعبي شعرا ونثرا .

أما قبل ذلك فكانت الأخبار والقصص والأشعار في حوافظ الرواة وذواكرهم، فذهب معظم ما كان معهم بذهابهم عن الدنيا .

وما ذكرته أعده مدخلاً لمعاني الشعر المرتبطة بالصحراء، وهي معانٍ كثـيرة، ليـس في

الإمكان أن ألم بها أو ببعضها في هذا البحث، ولكن الدارس يجدها ماثلة في دواوين الشعراء الذين عاشوا في جزيرة العرب، وفي دواوين الشعراء الذين تأثروا بهم .

ومن أبرز الصفات المعنوية التي كونتها الصحراء في نفوس ساكنيها، ودونوها شعرا يفوح منه عبق الصحراء، ما نلحظه من خصائص المجتمع الجاهلي، وكل مجتمع صحراوي، وهي خصائص تتمثل في الشجاعة والجرأة، والميل إلى المخاطرة، والاستهانة بالموت، والصبر على المكاره، وتحمل الأعباء، والحمل على النفس، والكرم، والنجدة، والإيثار، والتآزر في الملمات، والعفة، والحلم، والعفو عند المقدرة، والوفاء، وإباء الضيم، والميل إلى الحرية، والوضوح في المنطق، والصراحة التي تبلغ أحيانًا حد الإثارة والاستفزاز، والغلظة التي تصل في بعض المواقف إلى الجفاء المعهود في الأعراب، والتكتم، والتمويه الذي يمكن عده نوعًا من المراوغة والخداع، كما كان يحدث في الحروب، والولاء للقبيلة، والتعصب لها، والقيافة . وغير ذلك من الخلال والصفات التي حملها الشعر الذي يصدق عليه وصف شعر الصحراء، سواء أكان شعرا جاهليًا أم إسلاميًا، ولا يجد الدارس صعوبة في التمثيل لها من النصوص الشعرية الكثيرة([٢٢٩]) .

أثر الصحراء في الصور الفنية :

يحفل الشعر العربي بالصور الفنية التي أوحت بها الصحراء، واستقاها الشعراء من بيئتها، وطبيعة الحياة فيها، وكيف يتسنى لشاعر عاش حياته كلها في الصحراء أن يستعير صورا من خارج البيئة التي خبرها وأمضى ما تصرم من حياته في ربوعها؟! بيئة خبر دروبها وسهولها وحزونها وقيعانها وجبالها ووهادها وأوديتها ورياضها. ولذلك فإن الشعر الذي نصفه بالصحراوي من الطبيعي أن ينتزع صوره من تشبيهات واستعارات من الصحراء، فحينما نأتي إلى وصف الفرس أو الناقة في شعر الشعراء الجاهليين والإسلاميين والأمويين نجدهم لا يخرجون في تصويرهم عما عهد في بيئتهم وشاهدوه وهم يتنقلون في فضاء الصحراء، فامرؤ القيس حينما أراد أن يجسد صلابة فرسه وسرعة كره على العدو وإدباره عنه حيث لا مجال للكر لم يجد ما يشبهه به سوى قطعة صلبة من الصخر دحرجها سيل قوي من مكان مرتفع، وذلك في قوله :

مِكَرٍ مِفَرٍ مُقْبِلٍ مدبِـــــــرٍ معـًا **كجلْمودِ صخرٍ حطه السيلُ من عـل ([٢٣٠])

وصورة التشبيه انتزعها من مشاهدته لما يحدث في الصحراء حينما تتدافع حجارة الجبل، وتنصب في حركة سريعة متتابعة لها دوي وصوت، والتشبيه غير دقيق؛ لأن حركة الكر والفر والإقبال والإدبار لا تطابق كل المطابقة تهدي الحجر من مكانٍ عالٍ .

وفي قوله :

له أيطلا ظبي وساقا نعامةٍ ** وإرخاءُ سِرحانٍ وتقْريب تتفُل ([٢٣١])

شبه خاصرتي فرسه في الضمور بخاصرتي ظبي، وساقيها بساقي نعامة في الصلابة والقصر وطول الفخذين، وهي صفات محمودة في الفرس، وشبه عدوه بإرخاء الذئب ([٢٣٢]) وتقريب الثعلب ([٢٣٣])، والمشبه به منتزع من حيوانات صحراوية شاهدها امرؤ القيس

في جزيرة العرب كثيرا .

وشبه كَفَل فَرسِه بدِعص الرمل الذي لبده الندى فثبت وتماسك، وذلـك في قولـه([٢٣٤]) :

له كفَلٌ كالدعص لبده الندى ** إلى حارِكٍ مِثْل الغبيطِ المُذَأبِ ([٢٣٥])

والدعص الكثيب الصغير من الرمل، وهو مما يشاهد في الصحراء .

وشبه عمرو بن كلثوم غضون الدروع بطرائق الغدير إذا هبت عليه الريح، وذلـك في قوله ([٢٣٦]) :

كأن متونهن متونُ غـــُدرٍ ** تصفقُـــها الرياح إذا جرينا

والمشبه به منتزع من الصحراء، فتكسر سطح الغدير إثر هبوب الرياح عليه منظر ألفه ساكن الصحراء العربية، وشاهده كثيرا .

وفي بيت الأعشى ([٢٣٧]) :

تسمع ِللْحلي وسواسا إذا انصرفَت **كما استعانَ بريحٍ عِشرق ([٢٣٨]) زجِلُ

صورة فنية صحراوية، فالعِشرق نبات صحراوي، ولا يزال ينبت فيها، ويعرف بهـذا الاسم منذ العصر الجاهلي، وهو يفترش الأرض، وله عناقيد يكون فيها الحب، فإذا يبست، وهبت عليها الريح سمع لها صوت، شبه به الأعشى صـوت حلْـي محبوبتـه هريـرةَ إذا انصرفت، وهو تشبيه دقيق مصيب .

وفي بيت زهير ([٢٣٩]) :

تبصر خِليلي هل ترى من ظَعائِن *كما زالَ في الصبح الأشاءُ ([٢٤٠]) الحَوامِلُ

صورة أخذها من الصحراء، شبه مراكب النساء على الإبل وهي تسير بالنخل الصغار الحوامل إذا حركتها الريح، وركنا التشبيه من مشاهد الصحراء البارزة .

ومن صور الصحراء المألوفة أثر الدبا – وهو صـغار الجـراد – في الأرض السهلـة المنحدرة، واستغل أوس بن حجر هذه الصورة فشبه بها الشطوب التي ترى على صـفحة السيف، فقال ([٢٤١]) :

وأخرج منـــه القَين أثرًا كأنه ** مدب دبـًا سودٍ سرى وهو مسهلُ ([٢٤٢])

وشبه نصل السيف في بياضه ولمعانه بتلؤلؤ البرق في سحب ركامية ([٢٤٣]) في قوله ([٢٤٤]) :

وأبيض هِنديـًا كأن غـــــِراره ** تلألؤ برق في حـــــَبِي تكللا ([٢٤٥])

ونهر المجرة ([٢٤٦]) الذي يرى في السماء يشاهده ساكن الصحراء في ليالي الصحـو كثيرا، فنقل زهير بن أبي سلمى هذا المشهد، وشبه به الطريق الواضح في قوله ([٢٤٧]) :

على لاحِبٍ مِثْل المجرة خِلْته إذا ما علا نشزا من الأرض مهرق ([٢٤٨])

والمطر الغزير من خصائص الصحراء، ولاسيما في العشايا، ووظف علقمة ابـن عبـدة الفحل هذه الخاصية، فشبه به جري الفرس السريع وهو يعدو خلف قطيـع مـن البقـر الوحشي فقال ([٢٤٩]) :

فأتبع آثار الشياهِ بصـــادقٍ ** حثيثٍ كغيثِ الرائحِ المُتحلبِ ([٢٥٠])

ومنظر الغنم منتشرة والرعاة خلفها يسوقونها إلى المرعى دون أن تبدي مقاومة من مناظر الصحراء المتكررة، وأخذ علقمة هذا المنظر وشبه به قبيلة زيد مناة بن تميم فيما يراه من ضعفهم وانعدام شخصيتهم، فقال ([٢٥١]) :

كأن زيـد مناةٍ بعدهم غنم ** صاح الرعاءُ بها أن تهبطَ القاعا ([٢٥٢])

وتشبيه النياق أو الجمال وهن يغذُذْن السير في الفلاة بسرب القطا الذي أمضه العطش في صبح يوم شديد الحرارة صورة واقعية من صور الصحراء، قال عبيد بن الأبرص ([٢٥٣]) :

وكُن كأسرابِ القَطا هاج وِردها ** مع الصبح في يومِ الحَرور رميض ([٢٥٤])

ومن الصور المألوفة المأخوذة من مشاهدات الصحراء تشبيه عبيد ناقته في قوتها وسرعتها بالحمار الوحشي في قوله ([٢٥٥]) :

ومهمهٍ مقْفِرِ الأعلامِ منجردٍ   نائي المناهلِ جدبِ القاعِ منساحِ ([٢٥٦])

أجزتُه بعلاةٍ مذكـرةٍ   كالعيرِ مـوارةِ الضبعين مِمراحِ (([٢٥٧])

والصور الفنية المتأثرة ببيئة الصحراء المنتزعة من طبيعتها غزيرة من السهل تتبعها واستخراجها من ديوان الشعر العربي .

الخاتمة

للبيئة أثر لا ينكر في توجيه النشاط الإنساني، ومجموع العادات والتقاليد الاجتماعية والسلوكية وفي الأعمال الأدبية، وفي إطار تأثير البيئة كان هذا المبحث الأدبي الموجز الذي درس أثر الصحراء في نشأة الشعر العربي وتطوره، وتضمن البحث مقدمة، ثم تمهيدا تحدثت فيه عن بيئة الصحراء وساكن الصحراء، وعن امتزاج العربي بها حتى أصبحت جزءًا من كيانه، ثم تطرقت إلى محاولة تلمس البدايات الأولى لنشأة الشعر العربي على أديم جزيرة العرب وتطوره حتى وصل إلينا قصائد طويلة، تمتاز بالنضج الشعري شكلاً ومضمونًا على ألسنة الرعيل الأول الذي عرفناه من شعراء العصر الجاهلي. وتناول البحث بعد ذلك أثر الصحراء في اللغة، ولحظت أن بيئة الصحراء أمدت قاموس اللغة العربية بفيض زاخر من الأسماء والصفات التي اكتسبت صفة الاسمية مع كثرة الاستعمال ومرور الزمن، وأحصيت من أسماء الصحراء نحوا من ثلاثين اسما دللت على معظمها بشواهد شعرية، ثم تحدثت عن أثر الصحراء في موضوعات الشعر مثل وصف المظاهر الطبيعية والكونية، ووصف الحيوانات التي كانت تجد لها ملاذًا آمنًا في جزيرة العرب، وخصصت بالحديث الناقة؛ لأنها أظهر حيوان صحراوي، ولها ذكر ووصف في معظم دواوين شعراء الصحراء، ثم وصف الأشجار والنباتات التي امتازت بها صحراء جزيرة العرب مستدلاً بالنماذج والشواهد الشعرية، ثم تحدثت بعد ذلك عن أثر الصحراء في مضمون الشعر ومعانيه، فأثرها في الصور الفنية، وهو أثر ملحوظ؛ لأن الشعراء الذين عاشوا في الصحراء استقوا منها معظم صورهم الشعرية.

وأعد هذا البحث مدخلاً أو توطئة لبحوث أو دراسات موسعة تتناول أثر الصحراء في توجيه مسيرة الشعر العربي، وتفصل في أبواب نقاط البحث التي درستها في إيجاز، وتلـم بالقضايا الشعرية التي تتصل بالموضوع اتصالاً قريبا أو بعيدا؛ وبناء على ما تقـدم فمـن الممكن أن نطلق على الأدب في العصر الجاهلي والإسلامي أدب الصحراء؛ وأذكـر مـن هؤلاء جريرا والفرزدق والأخطل، وبشارا وأبا نواس ومسلم بن الوليد، والمتنبي، وأضرابهم من شعراء الدولة الأموية والعباسية. وأدب الصحراء يمتاز في معظمه بالقوة والمتانة والجزالة والفصاحة في اللغة والأسلوب، إذ هو بمنأى عن رقة المدن التي ربما تفضي إلى ضـعف في اللغة والأسلوب، وهذا أمر ملحوظ بين أدب الصحراء وأدب الحاضرة أو المـدن، ولهـذا السبب لا يستشهد علماء اللغة والنحو بالشعراء الجاهليين الـذين قضـوا أعمـارهم في الحواضر والمدن؛ كعدي بن زيد العِبادي؛ لأنه نشأ في الحيرة، ولم يأخذوا اللغة عن الحضر، ولا عن القبائل التي كانت تجاور في منازلها أممـًا غير عربية ([٢٥٨]) .

الحواشي والتعليقات

([١]) ديوانه: ٥٩، وهو من معلقته المشهورة. الضرب: الخفيف من الرجال. الخشـاش بتثليـث الخاء: الرجل الذكي الماضي في الأمور. الحية: الثعبان. المتوقد: الذكي الكثير الحركة. شرح ديوانه .

([٢]) طبقات فحول الشعراء: ٢٥، والمزهر للسيوطي: ٤٧٢/٢ .

([٣]) طبقات فحول الشعراء: ٢٥، والمزهر ٤٧٣/٢ .

([٤]) المزهر: ٤٧٤/٢- ٤٧٦، وتاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان: ٤٤/١ .

([٥]) دراسات في الشعر الجاهلي، للدكتور يوسف خليف: ٤٥ .

([٦]) تاريخ الأدب العربي: ٤٤/١ .

([٧]) طبقات فحول الشعراء: ٢٦، والمزهر: ٤٧٤/٢ .

([٨]) ديوانه: ١١٤، وطبقات فحول الشعراء: ٣٩، ورواية المزهر: ٤٧٦/٢ (عوجا على طلـل الديار لعلنا) .

عوجا : اعطفا وميلا . الطلل: الشاخص من آثار الديار. المحيل:الذي أتى عليه الحول، فتغير .

([٩]) انظر : طبقات فحول الشعراء: ٣٢، والشعر والشعراء: ١٠٤، والمزهر: ٤٧٥/٢.

([١٠]) معجم مقاييس اللغة (صحر): ٣٣٣/٣ .

([١١]) اللسان (صحر) .

([١٢]) الإفصاح في فقه اللغة : ١٠٥٠ .

([١٣]) اللسان (صحر) .

([١٤]) انظر : فقه اللغة وسر العربية: ٢٨٤ – ٢٨٦، والإفصاح في فقه اللغة: ١٠٥٠- ١٠٥١، وراجـــــــــع ص: ١٠٤٨-١٠٤٩ .

([١٥]) اللسان (قفر)، والإفصاح: ١٠٥٠ .

([١٦]) ديوانه : ٦٧ .

([١٧]) البرد : ثوب مخطط. السدير: أرض باليمن تنسب إليه البرود. معجم البلدان (السـدير) ٣/ ٢٠١. مشاربها: مفردها مشرب، وهو موضع الماء الذي يشرب منه. داثرات: مطموسات. أجن: مفردها آجن، وهو الماء المتغير الطعم واللون، يقال: أجن الماء يأجن بكسر الجيم وضمها أجنـًا وأجونـًا. اللسان (أجن) .

([١٨]) ديوانه: ٣٣٢، ومعنى البيت واضح .

([١٩]) هو : أبو الحسن النضر بن شميل المازني التميمي، من نحاة البصرة، ولد بمرو، ونشأ في البصرة، وأخذ العربية والنحو عن الخليل، وطوف في البادية كثيرا، وأقام بها أربعين سنة، وشافه الأعراب، وأخذ عنهم، وكان ثقة صدوقًا، صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة بأيام الناس ورواية للحديث، ضاقت به سبل العيش في البصرة، فتركها إلى مرو، وتوفي بها عام ٢٠٣هـ أو ٢٠٤هـ .

أخبار النحويين البصريين: ٦٤، ومعجم الأدباء: ٢٣٨/١٩- ٢٤٣، وإنباه الرواة: ٣٤٨/٣- ٣٥٢، ووفيات الأعيان: ٣٩٧/٥- ٤٠٥، وبغية الوعاة: ٣١٦/٢- ٣١٧.

([٢٠]) انظر هذه المعاني في اللسان والتاج (فلا) .

([٢١]) ديوانه: ٥٤، واللسان (فلا)، ورواية اللسان (مراضيع)، و(لا تخطاه الرقاب). زغب أراد أنا أفراخ صغار، والزغب: شعيرات صفر على ريش الفرخ. اللسان (زغب). مهوب: مخيف، يهابه الناس، ومهوب العيون: لا تدركه العيون .

([٢٢]) القاموس المحيط (برر)، والإفصاح في فقه اللغة: ١٠٥٠ .

([٢٣]) اللسان (بيد)، والإفصاح: ١٠٥٠ .

([٢٤]) ديوانه: ٣٩٦ .

([٢٥]) طاوي: جائع. ثلاث: ثلاث ليالٍ. عاصب البطن: عصب بطنه وشده بخرقة من ألم الجوع. مرمل: فقير محتاج. الرسم: ما بقي في الأرض من آثار الديار. شرح الديوان: ٣٩٧.

([٢٦]) شرح ديوانه: ١٤٠/٢ .

([٢٧]) الصحاح، والقاموس المحيط (فيف) .

([٢٨]) ديوانه : ٥١٠ .

([٢٩]) طواها : أي أضمرها راكبها . الحيزوم: الصدر. جيوب الفيافي: مداخلها. القاموس (جيب). الحزن: ضد السهل، مكان مرتفع ذو صلابة .

([٣٠]) اللسان (فوز) .

([٣١]) ديوانه : ١٧٧ .

([٣٢]) المهمه : سيأتي شرحها .

([٣٣]) اللسان (بسس) .

([٣٤]) اللسان (سبسب) .

([٣٥]) ديوانه: ٤٧ .

([٣٦]) أنى: كيف . الدكداك: ما تكبس واستوى وتلبد من الرمل. الأعقاد: مفردها عقد بفتح أوله وكسر ثانيه وفتحه، ما تعقد من الرمل وتراكم. القاموس (دكك، عقد).

([٣٧]) اللسان (تيه) .

([٣٨]) ديوانه : ١٢١٣. وانظر أبياتًا ذكرت فيها التيهاء ص:٢٨٥، ٤٨٥، ٧٠١ .

([٣٩]) مقفار: قَفْر: ارتكاضها: ركضها، والضمير يعود على تيهاء. الآل: السراب، الهجر: الهاجرة وقت اشتداد الحرارة. الطرف: العين. يمصح: يذهب بالعين .

([٤٠]) اللسان (دوم)، والقاموس المحيط (دمم)، والإفصاح: ١٠٥٠ .

([٤١]) ديوانه : ٥٥ .

([٤٢]) تغولُ : تتشبه بالغول في إلحاق الأذى والأين بالمسافرين. الآجال مفردها إجل: القطيع من بقر الوحش. القاموس (أجل)

([٤٣]) اللسان (مهه). الصوى: أعلام من حجارة منصوبة في الفيافي والمفازات المجهولة يستدل بها على الطريق وعلى طرفيها. المخالعة التي تطلب الخُلع من زوجها أي الطلاق والبينونة. اللسان (صوي،

خلع. تنهد : ترفع يديها. يريد أن يشبه هذه الصوى لاختلافها قصرا وطولاً بامرأة تخالع زوجها فهي مرة تكف يديها وتارة ترفعهما وتمدهما .

([٤٤]) ديوانه : ٣٣٢ .

([٤٥]) موماة : سيأتي شرحها . الأعلام : الجبال . الصدى: ذكر البوم .

([٤٦]) اللسان (خرق) .

([٤٧]) البيت في شرح أشعار الهذليين: ٣٨٠/١، واللسان (خرق). جواب: قطاع. النطف: الماء الصافي. وفي الشرح: الماء القليل. الطوامي: المرتفعة المملوءة .

([٤٨]) ديوانه: ٩١ .

([٤٩]) نياط الخرق: بعد طريقه كأنه نيط (وصِلَ) بخرق آخر لا يكاد ينقطع، وإنما قيل لبعد الخرق نياط؛ لأنه منوط بخرق آخر يتصل به. اللسان (نوط). لوث: قوة. يريد بها الناقة. سهوة المشي: لينة المشي سهلته. والسهوة. الناقة. القاموس (سهو). مذعان: طيعة مذللة .

([٥٠]) ديوانه: ٩٢ .

([٥١]) جوف العير: بطن الحمار الذي ليس فيه شيء يؤكل. وفي الشرح تفصيل في الديوان. مضلة: يضل فيها المسافر. السامي: الفرس المشرف المرتفع. ديوانه (الشرح). ساهم: ضامر قليل اللحم. القاموس (سهم). حسان: صيغة مبالغة من الحسن .

([٥٢]) الصحاح واللسان (صرم) .

([٥٣]) اللسان (فدفد) .

([٥٤]) اللسان (موم) .

([٥٥]) ديوانه: ١٥٢ .

([٥٦]) جحيشـًا: منفردا. يعروري: يركب .

([٥٧]) اللسان (قوي) .

([٥٨]) ديوانه: ٣١٧، واللسان (قوي) .

([٥٩]) نياطها: ظهرها. نطي: بعيد. تناصيها: تطاولها. شرح ديوانه: ٣١٧ – ٣١٨ .

([٦٠]) اللسان (تنف) .

([٦١]) ديوانه: ٢٣٧ .

([٦٢]) الفتل مفردها فتلاء، وهي الناقة إذا كان في ذراعها فَتلٌ وبعد عن جنبها، ويكون ذلك أقوى لها، وأسرع في السير. اللسان (فتل) .

([٦٣]) اللسان (دوا) .

([٦٤]) تهذيب اللغة: ٢٢٤/١٤، ودودو معناها بالفارسية: أسرع أسرع، انظر: معجـم البلـدان، لياقوت (الدو): ٤٩٠/٢ .

([٦٥]) تهذيب اللغة: ٢٢٤/١٤ – ٢٢٥ .

([٦٦]) هو أبو موسى الأشعري، حفر فيه آبارا يستقي منها الحجاج في أثناء ولايته على البصـرة في أواخر خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، انظر الكامل في التاريخ حوادث سنة: ٢٢هـ ٣٨/٣ ، ومعجم البلدان (حفر): ٢٧٥/٢، ويعرف الآن بحفر الباطن، وهو بلدة عامرة كثيرة السكان، تقـع في الشمال الشرقي من المملكة، وتبعد عن الرياض بنحو ٥٠٠كيل، وعن مدينة الجمعة بنحو ٣٠٠كيل.

([٦٧]) بلاد العرب: ٣١٧. وتعرف الدو الآن بالدبدِبة، وهي معروفة .

([٦٨]) نباتان لا يزالان يعرفان بهذا الاسم في نجد .

([٦٩]) لا يزال يعرف بهذا الاسم .

([٧٠]) ديوانه: ١٢٩٠، وأمالي القالي: ٩١/٢، وتهذيب اللغة: ٢٢٤/١٤، والسان (دوا).

([٧١]) شبه الدو في استوائه وانبساطه بكف المشتري إذا بسطه وصفق براحته على راحة البائع عند إمضاء صفقة البيع. والمراسيل: مفردها مرسال، وهي الناقة السريعة السهلة السير، وأخماس مفردها خِمس، والمراد خمسة أيام، ثلاثة أيام تكون في المرعى، ويوم ترد فيه الماء، ويوم تصدر عنه. وقيل معناه: ورود الماء في اليوم الخامس .

([٧٢]) اللسان (دوا) .

([٧٣]) ديوانه: ١٨٤٥. سميت دوية لدوي الصوت الذي يسمع فيها، وقيل: سميت دوية؛ لأنها تدوي بمن صار فيها، أي تذهب بهم، ودوى في الأرض: ذهب. تهذيب اللغة: ٢٢٤/١٤، واللسان (دوا). وبنات النجائب: الإبل .

([٧٤]) الرجز في ديوانه: ٣١٩- ٣٢٠، وتهذيب اللغة: ٢٢٤/١٤، واللسان (دوا) .

([٧٥]) دوي: صوت . أفرابها: جوانبها. هوي: هبوب شديد .

([٧٦]) اللسان (دوا). وتأتي الكلمة مثقلة ومخففة .

([٧٧]) ديوانه: ٢٨٦ .

([٧٨]) الصدى: الذكر من البوم. اللسان (صدي) .

([٧٩]) اللسان (بلقع) .

([٨٠]) اللسان (مرت) .

([٨١]) ديوانه : ٣٠٤ .

([٨٢]) مسهبة : طويلة بعيدة ممتدة . مخفقة : تخفق فيها الرياح. يهماء: يأتي شرحها. الحرباء: دابة أكبر من العظاية . شرح الديوان .

([٨٣]) اللسان (تيم) .

([٨٤]) اللسان (يهم). أرقل: أسرع، وأرقلتها: قطعتها، والقِلاص: جمع قلائص وقُلُص، ومفرد هذين: قَلُوص، وهي الشابة من الإبل أو الباقية على السير. القاموس المحيط (قلص).

([٨٥]) ديوانه : ٣٣٣ .

([٨٦]) ديوانه : ٨٥ .

([٨٧]) يجتاب: يقطع ويجتاز. مهمهة. مر تفسيرها. الصملقة والسملقة: القاع الأملس. اللسان (صملق)، سكن الخلائق: هادئ النفس. حاذي اللحم: اسم فاعل من الحَذِية، وهي العطية، والمراد أنه ينحر الإبل أو يذبح الغنم ويقدم لحمها للناس. انظر: اللسان (حذو). معتبط: ينحر الذبيحة من غير داء ولا كسر، وهي سمينة فتية، واللحم العبيط: السليم من الآفات. اللسان (عبط) .

([٨٨]) ديوانه: ٧٧ .

([٨٩]) الميل: قدر منتهى مد البصر. اللسان (ميل)، ويقدر بثلاثة آلاف ذراع بذراع الملك، والذراع ثلاثة أشبار معجم البلدان: ٣٦/١ .

([٩٠]) اللسان (هلك) .

([٩١]) اللسان (نفنف) .

([٩٢]) ديوانه: ٣٠٣ .

([٩٣]) ذؤالة : الذئب. طاو: جائع. الكشح: الخاصرة. جنب: أجنبي غريب .

([٩٤]) اللسان (صردح) .

([٩٥]) ديوانه: ٩٠٠ .

([٩٦]) فجاءت: الضمير يعود على الحمر الوحشية: الذود: من ثلاث إلى تسع، وقد يتجاوز هذا العدد. الخاربان: لصان، والخارب: المفسد. يشلها: يطردها. مصك: قوي. يريد به الحمار الوحشي. تهاداه: ترمي به صحراء إلى صحراء أخرى. شرح الديوان، والقاموس (ذود، صكك) .

([٩٧]) اللسان (سهب) .

([٩٨]) ديوانه: ٢٧٣ .

([٩٩]) الآل: السراب .

([١٠٠]) هو ربيعة بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، من بكر بن وائل، وقيل: اسمه عمرو بن سعد، وقيل عوف بن سعد، ولقب بالمرقش لبيت مشهور قاله، شاعر جاهلي قديم، عاصر المهلهل بن ربيعة، وشهد حرب بكر وتغلب المعروف بحرب البسوس، عرف بحبه لابنة عمه أسماء بنت عوف بن مالك بن ضبيعة، وشعره مما جلبه معه أبو علي القالي من بغداد إلى الأندلس ومعه شعر المرقش الأصغر، ويقعان في جزء واحد تام. الشعر والشعراء: ٢١٠- ٢١٣، ومن اسمه عمرو من الشعراء: ٣٤-٣٥، والأغاني: ٦/١٢١- ١٢٨، والمؤتلف والمختلف: ٢٨١، ومعجم الشعراء: ٢٠١، وجمهرة أنساب العرب: ٣١٩- ٣١٠، وفهرست ابن خير الإشبيلي: ٣٩٦. وجمع شعره: د. نوري حمودي القيسي، معتمدا في المقام الأول على ما ورد في المفضليات، ونشره في مجلة العرب .

([١٠١]) المفضليات: ٢٢٥- ٢٣٦، والمرقش الأكبر أخباره وشعره، مجلة العرب، الجزء العاشر، السنة الرابعة، ربيع الآخر: ١٣٩٠هـ، حزيران وتموز: ١٩٧٠م، ص:٨٧٦- ٨٧٧. تهالك: أجهد نفسه في السير حتى كاد أن يشرف على الهلاك. الورد: الإبل.

([١٠٢]) عيهامة: ناقة سريعة، والجمع عياهم. اللسان (عهم). تنسل: تسرع. يقول: توغلت في قطع هذه الفلاة الغبراء حتى أفضيت إلى مالا يعرف من دروبها وأعلامها .

([١٠٣]) موقَد: مكان إيقاد النار. لم ترمه: لم تمسسه، القوابس: من يقتبسون النار، المفرد قابس: يقول: قطعت هذه الدوية وقد بقي من الليل شطر كبير، وغادرت الموضع الذي حللته منها، وموقد النار الذي لا يوجد عنده أحد يقتبس منه نارا، لوحشة المكان، وبعده عن الناس .

([١٠٤]) تزقاء: صياح، من زقا الديك والطائر ونحوهما يزقو ويزقي: صاح، وكذلك الصبي إذا اشتد بكاؤه. اللسان (زقا). النوافس كالنواقيس، مفردها: ناقوس، وهو جرس يضربه النصارى لأوقات صلاتهم. القاموس المحيط (نقس) .

([١٠٥]) ملقى رحلها: موضع إلقاء رحلها، اسم مكان من ألقى. عرست: بركت وأقامت. والتعريس: الإقامة والنزول في آخر الليل للاستراحة. الروامس: الرياح الدوافن للآثار. القاموس المحيط (عرس، رمس): دبت: عفت .

([١٠٦]) الدوداة: أثر أرجوحة الصبيان على الأرض، وجمعها دوادٍ. اللسان (دود). نياط: علق: الزمام: خطام الناقة. العوانس: مفردها عانس، وهي الفتاة التي تبقى زمانًا لا تتزوج بعد أن تدرك ويحين وقت زواجها، وقيل: العانس إذا صارت نصفًا وهي بكر ولم تتزوج، ولا تسمى عانسًا إذا تزوجت مرة واحدة، ويطلق الوصف على الرجل أيضًا، ولكن إطلاقه على المرأة أكثر وأشيع. اللسان (عنس) .

([١٠٧]) عرانا: ألم بنا. الأطلس: الذئب الأمعط في لونه غبرة إلى السواد. والأمعط: الطويل الذي لا شعر على جسده. القاموس المحيط (طلس، معط). بائس: جائع .

([١٠٨]) حزة بضم الحاء: قطعة من اللحم قطعت طولاً. القاموس المحيط (حزز) .

([١٠٩]) آض يئيض أيضًا: رجع. الكمي: الشجاع أو لابس السلاح. القاموس المحيط (أيض، كمي). المحالس: الشجاع الذي يلازم قِرنه والذي لا يبرح ساحة القتال. اللسان (حلس)

([١١٠]) أعرض: برز وبان. قال عمرو بن كلثوم التغلبي .

فأعرضتِ اليمامةُ واشمخرت كأسيافٍ بأيدي مصلِتينا

شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٣٨٣ .

أعلام: جبال، مفردها علم: قالت الخنساء: كأنه علم في رأسه نار .

الخليج: شرم من البحر، وهو ما انقطع من معظم الماء لأنه يجبذ منه أي يقطع. وخليج البحر:

رجلٌ يختلج منه. اللسان (خلج). تغامس: تتغامس، أي تنغمس مرة وتظهر أخرى.

([١١١]) الآل: السراب. أغبر: تعلوه غبرة. طامس: غير ظاهر. وأغبر وطامس: صفتان لعلم.

([١١٢]) ديوانه: ٥٦ .

([١١٣]) ديوانه: ٨٣ .

([١١٤]) شرح ديوانه: ١٥٤ – ١٥٦ .

([١١٥]) مجهل: مكان مجهول لا يعرفه الناس. كاطراد السيف: يريد أنه مستو أملس كـالسيف. محتجز عن الأدلاء أي: يجهلون مسالكه ودروبه. مسجور: موقد. القاموس المحيط (سـجر). الصياخيـد مفردها صيخود، وهو شدة الحر، وصخدته الشمس: أحرقته. القاموس المحيط (صخد) .

([١١٦]) حسرى: أصابها التعب والإعياء فكلت، والتعبير مجاز بالاستعارة، مـن حسـرت الدابـة والناقة: أعيت وكلت. مولهة: شديدة الحزن، والتعبير مجاز بالاستعارة أيضـًا. حيرى: متحيرة، لا تـدري أين تذهب. الجلاميد: مفردها جلمود، وهو القطعة من الصخر قدر ما يرمي به القذاف. اللسان (حسـر، وله، جلمد) .

([١١٧]) موقف المتن، التوقيف: البياض مع السواد، ودابة موقفة. في قوائمها خطوط سود. اللسان (وقف). ويريد بموقف المتن المجهل الذي ذكره في البيت الأول، ويعني بذلك أن الصحراء الـتي سـلكها مختلفة الألوان. الريث: الإبطاء. تجهيد: جهد شديد. يصف هذا المجهل بأنه صعب المسالك والمرتقـى، لا طرق فيه، والسير فيه مضن لا يتم إلا بالتخلل عبر الأماكن الضيقة، والانعطاف يمنـة ويسـرة في بـطءٍ وجهد .

([١١٨]) فرينه: الفرو مصدر قولك فروت إليهم أفرو فروا، وهو القصد نحو الشيء. والفـرو مـن الأرض الذي لا يكاد يقطعه شيء . والضمير يعود على المجهل في البيت الأول. الوخد: ضرب سريع من السير. خطارة: ناقة تخْطِر بذنبها في السير نشاطـًا. سرح: سهلة السير. الإرقـال والتوخيـد: ضـربان سريعان من السير. اللسان (فرا، وخد، خطر، سرح). تفري: تقطع بهمة ونشاط. الإرقـال والتوخيـد: ضربان سريعان من السير. اللسان (رقل) .

([١١٩]) الغول: بعد المفازة؛ لأنه يغتال من يمر به. اللسان (غول). السيد. الذئب .

([١٢٠]) الآل: السراب. بدن: نياق. توافى بها نذر إلى عيد: أي جلبها لتنحر يوم عيد وفـاء لنـذر قطعه على نفسه .

([١٢١]) كلفت: حملت بمشقة. مؤرقة: من الأرق، وهو عدم النوم، ومثله التسهيد .

([١٢٢]) في النجوم الزاهرة: ٧٥/٢ ((داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصـة بـن المهلـب بـن أبي صفرة)) . وهو من الأمراء الولاة القادة الشجعان، ولاه الرشيد إفريقية بعد وفاة والده يزيد عام: ١٧٠ هـ، ثم خلفه عليها عمه روح بن حاتم المهلبي عام ١٧١هـ، أو عام ١٧٢هـ، ثم ولاه الرشيد مصر عام ١٧٤هـ، إلى المحرم من عام ١٧٥هـ، ثم السند عام: ١٨٤هـ، وبقي واليـًا عليها إلى أن توفي عـام ٢٠٥هـ. قاد بعض الجيوش لقمع الثائرين على الرشيد .

ولاة مصر: ١٥٧- ١٥٨، والكامل في التاريخ لابـن الأثـير: ٦٠٢/٥، ١٠٨/٦، ١١٣، ١١٦، ١٢٤، ٣٦٢، والنجوم الزاهرة: ٣/٢، ٧٥-٧٧، ١١٦، وحسن المحاضـرة في تـاريخ مصـر والقاهرة: ٥٩١/١، والأعلام: ٣٣٦/٢ .

([١٢٣]) معلقة طرفـة، ديوانه: ٣٤- ٤٦، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ١٤٩ومـا بعدها .

([١٢٤]) ديوانه: ٦١، ٦٢، ٩٤، ٩٥، ١٠٠، ١٠١، ١٦٧، ١٧٦، ١٨٤- ١٨٦ .

([١٢٥]) ديوانه٣٤-٣٥، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليـات: ١٤٩- ١٥٤، وشـرح المعلقات السبع: ٤٨- ٤٩.

([١٢٦]) احتضاره: حضوره. العوجاء: التي اعوجت من الهُزال إلى السمن، وهي التي لحق ظهرها ببطنها فاعوج جسمها . مرقال: سريعة .

([١٢٧]) الأمون: الناقة التي يؤمن عِثارها وزللها. الإران: تابوت كانوا يجعلون فيه الموتى من سادتهم وكبرائهم دون سواهم. نسأتها: حملتها على السير، أو ضربتها بالمنسأة، وهي العصا. اللاحب: الطريق الواضح. البرجد: كساء للأعراب ذو خطوط .

([١٢٨]) جمالية: تشبه الجمل في القوة ووثاقة الخلق. وجناء: العظيمة الوجنات. تردي: تعدو وتسرع. سفنجة: نعامة. تبري: تعرض. أزعر: قليل الشعر. أربد: لونه لو الرماد.

([١٢٩]) تباري: تسابق. عتاق: إبل كريم. ناجيات: سريعات. الوظيف: ما بين الرسغ إلى الركبة. المور: الطريق .

([١٣٠]) ديوانه، ص: ١٠ وما بعدها .

([١٣١]) ديوانه: ٢٦- ٣١ .

([١٣٢]) عرفاء: مشرفة السنام، أو طويلة العرف، وهو صوف العنق، أو مذكرة تشبه الجمل. وجناء: الغليظة الصلبة. اللسان (عرف، وجن)، جمالية: وثيقة تشبه الجمل في خِلْقتها وشدتها وعِظمها، اللسان (جمل).. مكْربة: موثقة. الأرساغ مفردها رسغ، وهو الموضع الدقيق الذي بين الخف وموصل الوظيف من اليد والرجل. اللسان (رسغ). جلمد: قطعة من الصخر. شبه أرساغها بالحجر في القوة .

([١٣٣]) نّاض: عنق. الحارك: أعلى الكاهل، وهو موضع مقدم السنام. ثمّ: هناك. الأصلد: القوي الأملس .

([١٣٤]) الأوب: ترجيع الأيدي والقوائم، وقيل: سرعة تقليب اليدين والرجلين في السير. الحيزوم: الصدر، وقيل: وسطه. اللسان (أوب، حزم). القَدَد: مر شرحها.

([١٣٥]) ابنة الجون: نائحة من كندة كانت في الجاهلية. المجلد: قطعة من جلد تمسكها النائحة بيدها، وتلطم بها وجهها وخدها. وقيل: خرقة تمسكها النوائح بأيديهن إذا نحن. اللسان (جون، جلد) .

([١٣٦]) تهجير: السير في الهاجرة، وهي منتصف النهار عند اشتداد الحرارة. الداوية: الدو. مر شرحها. شأوي: مثنى شأو: وهو الغاية والشوط والمدى: اللسان (شأي) .

([١٣٧]) اللاحب والقفرة والبرجد مر تفسيرها. منفهق: واسع .

([١٣٨]) ديوانه : ١٣٦ .

([١٣٩]) البين : البعد والفراق . ومعنى الشطر الثاني أن منعكِ ما سألتك إياه مثل بينك وفراقك.

([١٤٠]) ديوانه: ١٦٥ – ١٧٤ .

([١٤١]) ذات لوث: ذات قوة. عذافرة: قوية صلبة. القيون: الحدادون .

([١٤٢]) الوجيف : ضرب من السير سريع. الوضين: حزام الرحل .

([١٤٣]) التامك: السنام البارز المشرف. فرد: ملبد بعضه على بعض. السوادي: القت والنوى. الرضيح: نوى يدق ويخلط بالخَبط، وتعلف به الناقة. اللجين: ورق الشجر يخبط ثم يخلط بدقيق أو شعير فيعلف للإبل. اللسان (لجن)، وأدركنا هذا اللون من الطعام وهو يقدم للإبل والبقر .

([١٤٤]) السناف للبعير كاللبب للفرس، وهو ما يشد على صدر الدابة لئلا يتأخر الرحل عن مكانه. الزور: الصدر .

([١٤٥]) الثفنات ما يصيب الأرض إذا بركت الناقة، ويحصل فيها غلظ من أثر البروك، فالركبتان من الثفنات، وكذلك المرفقان وكركرة الناقة، سميت بذلك، لأنا تغلظ من مباشرة الأرض وقت البروك، مفردها ثَفِنة. وثَفِنت يده: غلظت من العمل. اللسان (ثفن). معرس موضع التعريس، وهو النزول أول الليل أو آخره، وأراد به هنا المكان. باكرات: يريد بها القطا. جون: سود. شبه أثر ثفناتها على الأرض بأثر قطا جثمن على الأرض، وهو تشبيه دقيق .

([١٤٦]) ديوانه: **١٩٤ – ١٩٥** .

([١٤٧]) الوضين: مر تفسيره. يقال: درأت وضين البعير إذا بسطته على الأرض ثم أبركته عليه لتشده به. اللسان (درأ). دينه: عادته ودأبه وديدنه .

([١٤٨]) انظر: كتاب الحيوان للجاحظ، والحيوان في الأدب العربي لشاكر هادي شكر .

([١٤٩]) ديوانه: **١٥ - ١٧**، وتروى القصيدة لعبيد بن الأبرص الأسدي، ديوانه: **٣٤** .

([١٥٠]) العارض: السحاب المعترض في الأفق .

([١٥١]) دانٍ: قريب. مسف: قريب من الأرض، هيدبه: هماليل السحاب، وهي ما تدلى منه إلى الأرض، ويكون السحاب حينئذ شديد الغزارة .

([١٥٢]) ريقه: أوله. شطِب: جبل لا يزال يعرف بهذا الاسم يقع شمالي جبل ثهلان (ذهلان)، بالقرب من بلدة الشعراء، بينهما صحراء يقطعها الماشي في نحو ساعة، وهو معدود من جبال بني نمير وكذلك جبل ثهلان. معجم البلدان (شطب) **٣٤٣/٣**، والمجاز بين اليمامة والحجاز: **٩٥- ٩٦**. الأقرب مفردها قُرب، بضم القاف، وسكونا، وبضمها مع الراء: الخاصرة أو من الشاكلة إلى مراق البطن. القاموس (قرب). الأبلق من الخيل ما فيه سواد وبياض، أو ما فيه تحجيل إلى الفخذين. القاموس (بلق). ينفي: يطرد. رماح: كثير الرفس. قال ابن السكيت: ينكشف البرق كما يرمح الأبلق فيبدو بياضه. خزانة الأدب: **١٥٧/١** .

([١٥٣]) دلاّح: كثير الماء . القاموس (دلح) .

([١٥٤]) الُلج: صوت، من اللجةِ وهي الأصوات والجلبة. القاموس (لجج). المُنصاح: الفائض الجاري على وجه الأرض: وقيل: انصاح: تشقق من قبل نفسه. اللسان (صوح).

([١٥٥]) ربط ورباط جمع مفرده ربطة، وهي كل ملاءة كلها نسج واحد وقطعة واحدة. القاموس (ربط) .

([١٥٦]) أجش: غليظ الصوت، يوصف به ما كان كذلك من إنسان وخيل ورعد وغيره. القاموس (جشش)، يصف به صوت المطر الغزير. مبترك: غزير، من ابتركت = =السحابة اشتد انهلالها، والسماء دام مطرها. القاموس (برك). الفاحص: أراد به من يفحص التراب، أي يقلبه ويحوله. يقال: فحص المطر التراب: قلبه. وفحص القطا التراب: اتخذ فيه أفحوصًا، وهو مجثمه. القاموس (فحص). الداحي: الذي يلعب بالمدحاة، وهي حجارة يدحى بها الصبي فتمر على الأرض لا تأتي على شيء إلا اجتحفته. القاموس (دحو)، وفيها تفصيل ذكر في اللسان (دحو) .

([١٥٧]) العشار من الإبل التي قد أتى عليها عشرة أشهر. الجلة: العظام الكبار من الإبل، وقيل: المسان منها يقع على الذكر والأنثى والواحد والمثنى والجمع. الشرف: الإبل المسنة، والمفرد: شارف. اللهاميم: النوق الغزيرة اللبن، المفرد: لهموم. أرشحت الناقة والمرأة وهي مرشح إذا خالطها ولدها وقوي ومشى معها وسعى خلفها ولم يتعبها. اللسان (عشر، جلل، شرف، لهم، رشح) .

([١٥٨]) هدل مشافرها: مسترخية. اللسان (هدل). تزجي: تسوق. المرابيع: مفردها مِرباع، وهي الناقة التي تلد في أول النتاج، والمراد بالمرابيع هنا أولادها. الصحصح: الأرض الجرداء المستوية الواسعة. اللسان (ربع، صحح). الضاحي: الظاهر .

([١٥٩]) المرتفق: الممتلئ الواقف الثابت الدائم. الطاحي: الممتد المنبسط. اللسان (رفق، طحو).

([١٦٠]) ديوانه: **٣٢٥ – ٣٢٩** .

([١٦١]) ديوانه: **٣٠** .

([١٦٢]) مسبل منهمر : مطر غزير .

([١٦٣]) انظر: اللسان (شري، حنظل، هبد) .

([١٦٤]) ديوانه: **٩٤** .

([١٦٥]) يصف لحمها بأنه شديد المرارة كالحنظل. لم يهذب: لم يعالج وينق حبه حتى تذهب مرارته. اللسان (هذب) .

([١٦٦]) ديوانه: ٩. والبيت من معلقته المشهورة .

([١٦٧]) البين: البعد والفراق. تحملوا: رحلوا. سمرات مفردها سمرة، وهي من شجر الطلح الذي ينمو في صحراء العرب. يستعمل شجره في تغمية (تسقيف) البيوت، ووقودا للنار. اللسان (سمر). ناقف الحنظل: الذي يستخرج حبه. يريد أن دموعه سالت عند فراق من أحب كما تسيل دموع ناقف الحنظل رغمًا عنه .

([١٦٨]) اللسان (خزم) .

([١٦٩]) ديوانه: ١٥٧ – ١٥٨ (خزم) .

([١٧٠]) صوب: وقع. الغمام: السحاب واحدته غمامة. نشر: رائحة. القُطُر: بضم القاف مع ضم الطاء أو تسكينها، العود الذي يتبخر به، وقد قطّر ثوبه وتقطّرت المرأة. اللسان (قطر).

([١٧١]) يعل: من العلل، وهو الشرب الثاني. والنهل: الشرب الأول. والمراد هنا يسقى به. طرب: صوت. المستحر: المصوت في السحر. يصف فاها بطيب الرائحة، وأنه لا يتغير بعد النوم. والأنياب أراها كلمة غير مناسبة في هذا المقام ولو قال: أسنانا أو ثنايها لكان أولى .

([١٧٢]) ديوانه: ١١٤ .

([١٧٣]) مذانب الروضة: الجداول التي توزع السيل في جنباتها: اللسان (ذنب). جلا: كشف. الدمنة: آثار الأقوام والدواب. المزن: مفردها مزنة، وهي السحابة الممطرة .

([١٧٤]) اللسان (عرفج) .

([١٧٥]) ديوانه : ٢٤٠ .

([١٧٦]) المرتجل: الذي أصحاب رجلاً من جراد فهو يشويه أو يطبخه. اللسان (رجل). التلعة: ما ارتفع من الأرض وما هبط منها، ومسيل الماء، وما اتسع من فوهة الوادي ومسيل الماء من الأسناد والجبال والمرتفعات حتى ينصب في الوادي، ولا تكون التلاع إلا في الصحارى. القاموس (تلع). غرثان: جوعان. ضرم: أوقد وأشعل .

([١٧٧]) اللسان (عسج) .

([١٧٨]) اللسان والتاج (عسج). ورواية ديوانه: ٧٤ (لم تلْق بؤس معِيشةٍ) .

([١٧٩]) تغتزل: تغزل الصوف بالمغزل. والبيت دليل على أن العرب كانوا يصنعون المغزل من أعواد العوسج. وكان يستعمل إلى وقت قريب في البادية؛ لغزل الخيوط التي تنسج منها بيوت الشعر وغيرها من الفرش . وقد رأيت في صغري الأعرابيات وهن يغزلن الصوف في سرعة وخفة ومهارة، وينسجن منه بيوت الشعر .

([١٨٠]) اللسان (قحو) .

([١٨١]) ديوانه: ١٤٧٢ .

([١٨٢]) عذابًا: يريد أسنانًا عذابًا، اكتفى بالصفة عن الموصوف. نور: زهر. المهطل: أصابه الهطل وهو المطر .

([١٨٣]) اللسان (خمم) .

([١٨٤]) ديوانه: ١٨٨ .

([١٨٥]) الحمولة: الإبل التي تحمل المتاع . تسف: تأكل .

([١٨٦]) اللسان والتاج (جثث) .

([١٨٧]) المصدران السابقان (جثث) من غير نسبة، وهما لكثير في ديوانه: ٤٢٩- ٤٣٠. ورواية البيت الثاني في الديوان فيها اختلاف عما أثبت هنا .

([١٨٨]) الحزن: ضد السهل. يمج : يخرج ويسيل. العرار: سيأتي بيانه .

([١٨٩]) اللسان والتاج (عرر) .

([١٩٠]) ديوانه: ٧٨، واللسان والتاج (عرر) .

([١٩١]) الريا: الريح الطيبة. القاموس (روي). القِطار: مفردها القَطر، وهو المطر .

([١٩٢]) ديوانه: ٢٠٣، واللسان والتاج (عرر)، ورواية الديوان (بيضاء ضحوتها) .

([١٩٣]) يريد أنا تتلون بلون الشمس، أو أنا تضمخ جسدها بالزعفران والطيب آخر النهار.

([١٩٤]) اللسان (فصم) .

([١٩٥]) اللسان (فصم)، وديوانه: ١٠٣٨ نقلاً عن اللسان .

([١٩٦]) اللسان (فصم) .

([١٩٧]) اللسان (شيح) .

([١٩٨]) المصدر السابق (شيح) .

([١٩٩]) اللسان (غضي) .

([٢٠٠]) ديوان: ١٧، واللسان (غضي) وهو من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

عميرةَ ودع إن تجهزت غازيا كفى الشيب والإسلام للمرءِ ناهيا

([٢٠١]) اللآلي: ٦٤١، واللسان (غضي) .

([٢٠٢]) أمالي أبي علي القالي: ١٠/٢، واللآلي: ٦٤١، واللسان (غضي، فطم)، وانظـر معجـم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام: ٢٩١، وأعلام النساء: ٣١٣/- ٣١٤، ولم أجد لها ترجمة سوى أنا شاعرة من شواعر العرب، وقصيدتها اليمية قالتها في جحوش العقيلي، وكانت فيما يبدو تحبه وتهـواه، وجحوش الخفاجي العقيلي عاش في الدولة الأموية، وتوفي في أول القرن الثاني الهجري .

انظر: شـعراء بني عقيل وشعرهم في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأمـوي: ٢٨/١-٢٩، وراجع فهرس الأعلام: ١٥٧ .

ونسب البيت الأول في المؤتلف والمختلف: ١٥٧ إلى خنساء بنت أبي الطماح، وكانت زوجة للضحاك بن عقيل العقيلي. وفي المصدر نفسه ثلاثة أبيات قالتها خنساء بنت التـيحان تتشوق إلى جحوش العقيلي الخفاجي .

([٢٠٣]) اللسان (سلم) .

([٢٠٤]) المصدر السابق (سلم) .

([٢٠٥]) الجَرداء: بلد دون الفَلَج (الأفلاج) ببلاد بني جعدة . المصدر السابق (سلم) .

([٢٠٦]) اللسان (سلم، عصل) .

([٢٠٧]) ريا: رائحة طيبة. المعصال: مِحجن يتناول به أغصان الشجر لاعوجاجه. اللسان (عصل).

([٢٠٨]) اللسان (حرمل) .

([٢٠٩]) ديوانه: ٨٨، واللسان (حرمل) .

([٢١٠]) مبيتـًا: مكان البيات، أي ليس عندهم موضع يبيت فيه الضيفان، يصفهم بالبخل. ورواية الديوان (مبيرا) أي مهلكًا. السوام: الأنعام التي ترعى. دثرا: كثيرا. القاموس (دثر) .

([٢١١]) معجم اليمامة: ٣١٧/١ .

([٢١٢]) ديوانه: ١١١، ومعجم ما استعجم: ٤٤٠/١ .

([٢١٣]) هذا البيت من ثمانية أبيات في ديوانه. قال البغدادي: ((هذه الأبيات قالها أوس بن حجـر لبني الحارث بن سدوس بن شيبان، وهم أهل القرية (سدوس) باليمامة، حيث اقتسموا معـزاه، وقيـل: اقتسمها بنو حنيفة وبنو سحيم، وكان أوس بن حجر أغرى عليهم عمرو ابن المنذر بن مـاء السمـاء، ثم جاور فيهـم فاقتسموا معزاه)) . خزانة الأدب: ٣٧٣/٤.

والقرية التي تسمى الآن سدوس قريبة من حريملاء وملهم. ثم أهل سدوس وحرملاء، وأثـنى على أهل ملهم.

([٢١٤]) اللسان (فرط) .

([٢١٥]) شرح أشعار الهذليين: ١٤٧/١، ومجمع الأمثال: ١٥٢/٣، واللسان (فرط) .

([٢١٦]) القارظان: رجلان من عنزة، خرجا في طلب القرظ فلم يعودا فضرب بهما المثل في طلب الأمر المستحيل، فقيل: لا آتيك حتى يؤوب القارظان. مجمع الأمثال: ١٥٢/٣، وجمهرة الأمثال: ١٢٣/١ - ١٢٤، وكليب وائل: هو الذي قتله جساس بن مرة وقامت بسبب حرب البسوس .

([٢١٧]) يقال: شجرة سليب: سلبت ورقها وأغصانها. القاموس (سلب) .

([٢١٨]) اللسان (سبط) .

([٢١٩]) ديوانه: ٢٧/١، واللسان (سبط) .

([٢٢٠]) عِقد بكسر القاف وفتحها: ما تراكم من الرمل وكثر وتعقد .

([٢٢١]) اللسان (أرط) .

([٢٢٢]) اللسان (صمع) .

([٢٢٣]) اللسان (نصي) .

([٢٢٤]) اللسان (حمض) .

([٢٢٥]) اللسان (رمث) .

([٢٢٦]) اللسان (بسس) .

([٢٢٧]) اللسان (ثمم) .

([٢٢٨]) اللسان (ربل) .

([٢٢٩]) لمزيد من التفصيل انظر: الحياة العربية من الشعر الجاهلي، للدكتور أحمد محمد الحوفي. والموضوع في حاجة إلى دراسات تطبيقية أكثر سعة وشمولاً .

([٢٣٠]) ديوانه: ١٩ .

([٢٣١]) ديوانه: ٢١ .

([٢٣٢]) الإرخاء: شدة العدو، أو عدو فوق التقريب. القاموس (رخو) .

([٢٣٣]) التقريب: ضرب من العدو، أو أن يرفع يديه معـًا ويضعهما معـًا. القاموس (قرب).

([٢٣٤]) ديوانه: ٤٧ .

([٢٣٥]) الكفل مؤخرة الفرس، أو الدابة مما يلي الفخذين. الحارك: أعلى الكاهل. الغبيط: رحل قتبه وأحناؤه واحدة، والجمع: غُبط. القاموس (غبط). المُذَأب إذا جعل له فرجة بين دفّتيه، فكان بذلك واسعـًا. أو جعل له ذؤابة. اللسان (ذأب) .

([٢٣٦]) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٤١٦، وشرح المعلقات السبع: ١٣٢، وشرح القصائد العشر: ٣٥٧ .

([٢٣٧]) ديوانه: ١٠٥ .

([٢٣٨]) العِشرق: نبات صحراوي يفترش الأرض، ويستعمل دواءً مسهلاً، وله قوة في الإسهال فعالة .

([٢٣٩]) شرح ديوانه: ٢٩٤ .

([٢٤٠]) المفرد : أشاءة .

([٢٤١]) ديوانه: ٩٥ .

([٢٤٢]) القين: الحداد الذي يصنع السيوف وغيرها. الأثْر: فرند السيف. القاموس (أثر). مدب: ممشى. مسهل: منحدر إلى السهل أو في طريق سهل .

([٢٤٣]) هي السحب التي يركب بعضها بعضها، ويكون برقها شديد اللمعان والإضاءة، ومطرها غزيرا بإذن الله؛ لأنها مثقلة بالماء، وهي على خلاف السحب الانبساطية التي تكون قريبة من الأرض قليلة الماء .

([٢٤٤]) ديوانه: ٨٤ .

([٢٤٥]) هندي: مصنوع في الهند. الغِرار: حد السيف والرمح والسهم. القاموس (غرر).

الحبي: السحاب يشرف من الأفق على الأرض، أو الذي بعضه فوق بعض، ويسمى السحب الركامية، ويكون مطرها غزيرا بإذن الله. القاموس (حبي) .

تكلل: تراكم بعضه فوق بعض كأنّ غشاءً ألبسه. القاموس (كلل) .

([٢٤٦]) يسميها العرب: درب التبانة، أي الذين ينقلون التبن، ويسميها الغرب: الطريق اللبني Mikly Way، نسبة إلى اللبن، ولفظة المجرة يقابلها في الإنجليزية لفظة Galaxy.

([٢٤٧]) شرح دوانه: ٢٥٧ .

([٢٤٨]) اللاحب: الطريق الواضح. نشزا : مكانا مرتفعا. مهرق: صحيفة بيضاء، وهي كلمة معربة من الفارسية. القاموس واللسان (هرق) .

والكلمة خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو مهرق. حاشية الديوان. والجملة تشبيه بليغ، أي هو مثل الصحيفة البيضاء في الملاسة والاستواء والوضوح .

([٢٤٩]) ديوانه: ٩٤ .

([٢٥٠]) الشياه: مفردها شاة من الغنم عامة، والظباء، والبقر، والنعام، وحمر الوحش، والمرأة. القاموس (شوه). وتطلق في نجد على أنثى الخراف فقط. بصادق: صفة لموصوف محذوف تقديره: بجري صادق. المتحلب: الممطر في غزارة .

([٢٥١]) ديوانه: ١٢٦ .

([٢٥٢]) القاع: أرض سهلة مطمئنة مستوية، لا حصى فيها ولا حجارة. وفي تعريفه تفصيل في اللسان (قوع) .

([٢٥٣]) ديوانه: ٨١ .

([٢٥٤]) رميض: شديد الرمضاء .

([٢٥٥]) ديوانه: ٣٩ .

([٢٥٦]) البيت قَذٌ في وصف الصحراء، أرض واسعة متاهة مضلة لا أعلام فيها يستدل بها على طريق، بعيدة موارد المياه، جدباء، متسعة الأرجاء .

([٢٥٧]) علنداة: ناقة ضخمة طويلة. اللسان. (علد). مذكرة: تشبه الجمل في قوتها: العير: الحمار الوحشي. موارة: ناقة سهلة السير سريعة. اللسان (مور). الضبعين: وسط العضد بلحمه يكون للإنسان، وغيره، ويقال: ضبعت الناقة مدت ضبعيها في سيرها واهتزت. اللسان (ضبع). مراح: نشيطة خفيفة. اللسان (مرح) .

([٢٥٨]) انظر المزهر للسيوطي ٢١١/١- ٢١٢ .

المصادر والمراجع (١)

١- أخبار النحويين البصريين، صنعة: أبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي (٢٨٤- ٣٦٨هـ)، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م، دار الاعتصام – القاهرة

٢- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)، ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (٥٧٤- ٦٢٦هـ)، نشرة الدكتور أحمد فريد الرفاعي (... – ١٣٧٦هـ = ... – ١٩٥٦م) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، نسخة مصورة .

٣- الأعلام (قاموس تراجم)، خير الدين الزركلي (١٣١٠- ١٣٩٦هـ = ١٨٩٣- ١٩٧٦م) ، الطبعة السابعة: ١٩٨٦م، دار العلم للملايين – بيروت، لبنان.

٤- أعلام النساء في عالمي العربي والإسلام، عمر رضا كحالة (١٣٢٣- ١٤٠٨هـ = ١٩٠٥ - ١٩٨٧م)، الطبعة الرابعة: ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت .

٥- الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني علي بن الحسين (٢٨٤- ٣٥٦هـ)، الطبعة الثالثة: ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢م، دار الثقافة، بيروت .

٦- الإفصاح في فقه اللغة، عبدالفتاح الصعيدي (١٣١٠- ١٣٩١هـ = ١٨٩٢- ١٩٧١م)، وحسين يوسف موسى، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة .

٧- الأمالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (٢٨٨- ٣٥٦هـ)، عناية: محمد عبدالجواد الأصمعي (١٣١٢- ١٣٨٨هـ = ١٨٩٤- ١٩٦٨م)، الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤ م، دار الحديث، بيروت، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، عام: ١٣٤٤هـ = ١٩٢٦م، القاهرة .

٨- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (٥٦٧- ٦٤٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (١٣٢٢- ١٤٠١هـ = ١٩٠٥- ١٩٨١م)، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت: ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

---

(١) أهملت إثبات معجمات اللغة ، لسهولة الرجوع اليها اعتماداً على ترتيبها المعروف.

٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩- ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (١٣٢٢- ١٤٠١هـ = ١٩٠٥- ١٩٨١م)، الطبعة الأولى: ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م، مطبعة الحلبي، القاهرة .

١٠- بلاد العرب، الحسن بن عبدالله الأصبهاني المعروف بلغدة (... – نحو ٣١٠هـ)، تحقيق: حمد الجاسر (١٣٢٨هـ - ١٤٢١هـ = ١٩١٠- ٢٠٠٠م)، والدكتور صالح العلي (١٩١٦- ...)، الطبعة الأولى: ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض .

١١- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان (١٢٨٥- ١٣٧٥هـ = ١٨٦٨- ١٩٥٦م)، تحقيق: عبدالحليم النجار، ورمضان عبدالتواب، والسيد يعقوب بكر، دار المعارف، مصر .

١٢- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢- ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (١٣٢٧- ١٤٠٨هـ = ١٩٠٩- ١٩٨٨م)، وآخرين، الطبعة الأولى: ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م، دار القومية العربية للطباعة، القاهرة .

١٣- جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (...- بعد ٤٠٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (١٣٢٢- ١٤٠١هـ = ١٩٠٥- ١٩٨١م)، وعبدالمجيد قطامش (... - ١٤١٤هـ = ... – ١٩٩٣م)، الطبعة الأولى: ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة .

١٤- جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (٣٨٤- ٤٥٦ هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (١٣٢٧- ١٤٠٨هـ = ١٩٠٩- ١٩٨١م)، دار المعارف بمصر: ١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م، القاهرة .

١٥- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (٨٤٩- ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (١٣٢٢- ١٤٠١هـ = ١٩٠٥- ١٩٨١م)، الطبعة الأولى: ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م، القاهرة .

١٦- الحياة العربية من الشعر الجاهلي، د. أحمد محمد الحَوفي (١٣٢٨- ١٤٠٣هـ =

١٩١٠ - ١٩٨٢م)، الطبعة الرابعة، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة.

١٧ - الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (١٥٠ - ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (١٣٢٧ - ١٤٠٨هـ= ١٩٠٩ - ١٩٨٨م)، الطبعة الثانية، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة .

١٨ - الحيوان في الأدب العربي، شاكر هادي شاكر، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م، مكتبة النهضة العربية، وعالم الكتب، بيروت .

١٩ - خزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ= ١٦٢٠ - ١٦٨٢م)، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون (١٣٢٧ - ١٤٠٨هـ= ١٩٠٩ - ١٩٨٨م)، الطبعة الأولى: ١٩٧٩ - ١٩٨٦م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ومكتبة الخانجي، القاهرة .

٢٠ - دراسات في الشعر الجاهلي، د. يوسف خليف (١٣٤١ - ١٤١٥هـ= ١٩٢٢ - ١٩٩٥م)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة .

٢١ - ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس (... - ٧هـ= ... - ٦٢٩م)، شرح وتعليق: د. محمد محمد حسين (١٣٣١ - ١٤٠٣هـ= ١٩١٢ - ١٩٨٢م)، دار النهضة العربية: ١٩٧٤م، بيروت، لبنان .

٢٢ - ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (١٣٢٢ - ١٤٠١هـ= ١٩٠٥ - ١٩٨١م)، الطبعة الثانية: ١٩٦٤م، دار المعارف بمصر .

٢٣ - ديوان أوس بن حجر، حققه وشرحه: د. محمد يوسف نجم، دار صادر ودار بيروت. بيروت، لبنان .

٢٤ - ديوان تأبط شرا وأخباره، جمعه وحققه وشرحه: علي ذو الفقار شاكر، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م، دار الغرب الإسلامي، بيروت .

٢٥ - ديوان جرير (٢٨ - ١١٠هـ)، بشرح محمد بن حبيب (... – ٢٤٥هـ)، تحقيق: الدكتور نعمان أمين طه، الطبعة الأولى: ١٩٦٩ - ١٩٧١م، دار المعارف بمصر .

٢٦ - ديوان الحطيئة (... - نحو ٤٥هـ) بشرح ابن السكيت (١٨٦ - ٢٤٤هـ)، والسكري (٢١٢ - ٢٧٥هـ)، والسجستاني (... - ٢٥٥هـ أو ٢٤٨هـ)، حققه: نعمان أمين طه، الطبعة الأولى: ١٣٧٨هـ= ١٩٦٥م، القاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب عام: ١٣٧١هـ= 1951 م .

٢٧ - ديوان حميد بن ثور الهلالي (... – نحو ٣٠هـ= ... – ٦٥٠م)، تحقيق: عبدالعزيز الميمني الراجكوتي (١٣٠٦ - ١٣٩٩هـ= ١٨٨٨ - ١٩٧٨م)، الدار القومية للطباعة والنشر: ١٣٨٤هـ= ١٩٦٥م، القاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب عام: ١٣٧١هـ= ١٩٥١م .

٢٨ - ديوان ذي الرمة غيلان بن عقبة العدوي (٧٧ - ١١٧هـ)، شرح أبي نصر أحمد ابن حاتم الباهلي (... - ٢٣١هـ) صاحب الأصمعي، حققه: د. عبدالقدوس ناجي أبو صالح، الطبعة الأولى: ١٣٩٢هـ= ١٩٧٢م، مجمع اللغة العربية بدمشق.

٢٩ - ديوان الراعي النميري (... – ٩٠هـ)، تحقيق: راينهرت فايبرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت: ١٤٠١هـ= ١٩٨٠م .

٣٠ - ديوان سحيم عبد بني الحسحاس (... – نحو ٤٠هـ)، تحقيق: عبدالعزيز الميمني (١٣٠٦ - ١٣٩٩هـ= ١٨٨٨ - ١٩٧٨م)، الدار القومية للطباعة والنشر: ١٣٨٤هـ= ١٩٦٥م، القاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية عام: ١٣٦٩هـ= ١٩٥٠م .

٣١- ديوان شعر المثقب العبدي (٥٣٥- ٥٨٧م)، حققه وشرحه وعلق عليه: حسن كامل الصيرفي (١٣٢٦- ١٤٠٤هـ= ١٩٠٨- ١٩٨٤م)، الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م، معهد المخطوطات العربية، القاهرة .

٣٢- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني (... – ٢٢هـ)، تحقيق: صلاح الدين الهادي، الطبعة الأولى: ١٩٨٦م، دار المعارف بمصر .

٣٣- ديوان الصمة بن عبدالله القشيري (... – ٩٥هـ)، جمعه وحققه: د. عبدالعزيز محمد الفيصل، الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ= ١٩٨١م، النادي الأدبي – الرياض.

٣٤- ديوان طرفة بن العبد. تحقيق وشرح د. علي الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة الرسالة، القاهرة .

٣٥- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح د. حسين نصار، الطبعة الأولى: ١٣٧٧هـ= ١٩٥٧م، مصطفى الحلبي، القاهرة .

٣٦- ديوان العجاج (... – نحو ٩٠هـ)، رواية عبدالملك بن قريب الأصمعي، تحقيق: د.عزة حسن، مكتبة دار الشروق: ١٩٧١م، بيروت .

٣٧- ديوان علقمة بن عبدة الفحل، بشرح الأعلم الشنتمري (٤١٠- ٤٧٦هـ)، تحقيق: لطفي الصقال، ودرية الخطيب، الطبعة الأولى: ١٣٨٩هـ= ١٩٦٩م، دار الكتاب العربي، حلب .

٣٨- ديوان عنترة، تحقيق: محمد سعيد مولوي. المكتب الإسلامي – دمشق .

٣٩- ديوان كثير عزة (... – ١٠٥هـ)، جمعه وشرحه: د. إحسان عباس، الطبعة الأولى: ١٣٩١هـ= ١٩٧١م، دار الثقافة، بيروت، لبنان .

٤٠- سمط ([٢٥٨]) اللآلي في شرح أمالي القالي، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد البكري الأندلسي (٤٣٢-٤٨٧هـ= ١٠٤٠- ١٠٩٤م)، تحقيق: عبدالعزيز الميمني (١٣٠٦- ١٣٩٨هـ= ١٨٨٨= ١٩٧٨م)، الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت .

٤١- شرح أشعار الهذليين، صنعه: أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (٢١٢- ٢٧٥هـ)، حققه: عبدالستار أحمد فراج (١٣٣٥- ١٤٠١هـ= ١٩١٦- ١٩٨١م)، الطبعة الأولى، مكتبة دار العروبة، القاهرة .

٤٢- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة: أبي العباس ثعلب أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني (٢٠٠- ٢٩١هـ)، الدار القومية للطباعة والنشر: ١٣٨٤هـ= ١٩٦٤م، القاهرة. مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية عام: ١٣٦٣هـ= ١٩٤٤م .

٤٣- شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري (...- ٢٠٨هـ)، حققه: د.سامي الدهان (١٣٢٨- ١٣٩١هـ= ١٩١٠- ١٩٧١م)، الطبعة الثانية: ١٩٧٠م، دار المعارف بمصر .

٤٤- شرح ديوان المتنبي (٣٠٣- ٣٥٤هـ)، وضعه: عبدالرحمن البرقوقي (١٢٩٣- ١٣٦٣هـ= ١٨٧٦- ١٩٤٤م)، مطبعة السعادة، القاهرة .

٤٥- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (٢٧١- ٣٢٨هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (١٣٢٧- ١٤٠٨هـ= ١٩٠٩- ١٩٨٨م)، الطبعة الرابعة: ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م، دار المعارف بمصر، ذخائر العرب (٣٥) .

٤٦- شرح القصائد العشر، الخطيب التبريزي (٤٢١- ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، الطبعة الثالثة: ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م، دار الآفاق الجديدة – بيروت.

٤٧- شرح المعلقات السبع، أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني (... –

٤٨٦هـ)، دار صادر، بيروت .

٤٨- شعراء بني عقيل وشعرهم في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي (جمعاً وتحقيقاً ودراسة)، د. عبدالعزيز بن محمد الفيصل، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض .

٤٩- الشعر والشعراء، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣- ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر (١٣٠٩- ١٣٧٧هـ = ١٨٩٢- ١٩٥٨م)، الطبعة الثانية: ١٩٦٦- ١٩٦٧م، دار المعارف بمصر .

٥٠- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (١٣٩- ٢٣١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر (١٣٢٧- ١٤١٨هـ = ١٩٠٩- ١٩٩٧م)، مطبعة المدني، القاهرة .

٥١- العرب (مجلة)، الجزء العاشر، السنة الرابعة، ربيع الآخر: ١٣٩٠هـ، حزيران، وتموز: ١٩٧٠م، تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

٥٢- فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (٣٥٠ - ٤٢٩هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري (١٣٢٠- ١٤١٤هـ = ١٩٠٢- ١٩٩٤م)، وعبدالحفيظ شلبي، الطبعة الأولى: ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م، مطبعة الحلبي، القاهرة.

٥٣- الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد النديم البغدادي (...- ٤٣٨هـ)، تحقيق: رضا تجدد، كراجي – باكستان .

٥٤- فهرست ما رواه عن شيوخه، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الإشبيلي (٥٠٢- ٥٧٥هـ)، تحقيق: فرنسشكه فداره زيدين، وخليان ربارة طرغوه، الطبعة الثانية: ١٣٨٢هـ = ١٩٩٣م .

٥٥- الكامل في التاريخ، ابن الأثير عز الدين علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري (٥٥٥- ٦٣٠هـ)، الطبعة الأولى: ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م، دار صادر، ودار بيروت، بيروت .

٥٦- المجاز بين اليمامة والحجاز، عبدالله بن محمد بن خميس (١٣٣٩هـ - ...)، الطبعة الأولى: ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

٥٧- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (...- ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (١٣٢٢- ١٤٠١هـ = ١٩٠٥- ١٩٨١م)، الطبعة الأولى: ١٩٧٨- ١٩٧٩م، عيسى البابي الحلبي، القاهرة .

٥٨- المزهر في علوم اللغة وآدابها، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩- ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى (١٣٠٠- ١٣٦٣هـ = ١٨٨٣- ١٩٤٤م)، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم (١٣٢٢- ١٤٠١هـ = ١٩٠٥ - ١٩٨١م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة .

٥٩- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب .

٦٠- معجم البلدان، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (٥٧٤- ٦٢٦ هـ)، الطبعة الأولى: ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م، دار صادر، ودار بيروت، بيروت .

٦١- معجم الشعراء، محمد بن عمران بن موسى المرزباني البغدادي (٢٩٦- ٣٨٤هـ)، تحقيق: سالم الكرنكوي (فريتس كرنكو)، (١٨٧٢- ١٩٥٣م)، مكتب القدسي: ١٣٥٤هـ، القاهرة.

٦٢- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيدعبدالله بن عبدالعزيز بن محمد البكري الأندلسي (٤٣٢- ٤٨٧هـ = ١٠٤٠- ١٠٩٤م)، حققه: مصطفى السقا، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣

هـ= ١٩٨٣م، عالم الكتب، بيروت.

٦٣- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (...- ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (١٣٢٧- ١٤٠٨هـ= ١٩٠٩- ١٩٨٨م)، الطبعة الثانية: ١٣٨٩هـ= ١٩٦٩م، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة.

٦٤- معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام (خطوة نحو معجم متكامل)، عبد علي مهنا، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية بيروت.

٦٥- معجم اليمامة – عبدالله بن محمد بن خميس (١٣٣٩هـ - ...)، الطبعة الأولى: ١٣٩٨هـ= ١٩٧٨م، مطابع الفرزدق، الرياض .

٦٦- المفضليات، المفضل بن محمد الضبي الكوفي (...- ١٧٨هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر (١٣٠٩- ١٣٧٧هـ= ١٨٩٢- ١٩٥٨م)، وعبدالسلام محمد هارون (١٣٢٧- ١٤٠٨هـ= ١٩٠٩- ١٩٨٨م)، الطبعة الخامسة: ١٩٧٦م، دار المعارف بمصر .

٦٧- من اسمه عمرو من الشعراء، أبو عبدالله محمد بن داود ابن الجراح (٢٤٣- ٢٩٦هـ)، حققه: د. عبدالعزيز بن ناصر المانع، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ= ١٩٩١م، مطبعة المدني، القاهرة .

٦٨- المؤتلف والمختلف، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (...- ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج (١٣٣٥- ١٤٠١هـ= ١٩١٦- ١٩٨١م)، الطبعة الأولى: ١٣٨١هـ= ١٩٦١م، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة .

٦٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة؛ لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (٨١٣- ٨٧٤هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (الهيئة العامة للكتاب حاليا)، القاهرة. نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

٧٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان (٦٠٨- ٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ= ١٩٧٧م)، دار صادر، بيروت، لبنان .

٧١- ولاة مصر، محمد بن يوسف الكندي (٢٨٣- نحو ٣٦٢هـ)، تحقيق: د. حسين نصار، دار صادر، بيروت .